فتوح الغيب

لشيخ الإسلام
القطب عبد القادر الجيلاني قدس سره
المتوفى 561 هـ



فتوح الغيب

تأليف

سيدى عبد القادر الجيلانى

(٤٧٠ – ٥٦١ هـ)

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

الطبعـــة الثانية

١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد الرزاق ولد المؤلف : قال والدى رضى الله تعالى عنه مؤيد الأئمة سيد الطوائف أبو محمد محيي الدين عبد القادر الجيلانى الحسنى الحسينى الصديقى ، ابن أبى صالح موسى جنكى دوست ابن الإمام عبد الله ابن الإمام يحيي الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داود ابن الإمام موسى ابن الإمام عبد الله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبد الله المحض ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام أمير المؤمنين سيدنا الحسن السبط ابن الإمام الهمام أسد الله الغالب، فخر بنى غالب، أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه، ورضى عنه وعنهم أجمعين آمين .

الحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وظاهرا وباطنا عدد خلقه ومداد كلماته وزنة عرشه، ورضاء نفسه، وعدد كل شفع ووتر، ورطب ويابس فى كتاب مبين، وجميع ماخلق ربنا وذرأ وبرأ، خالق بلا مثال أبدا سرمدا طيبا مباركا . الذى خلق فسوى، وقدّر فهدى. وأمات وأحيا، وأضحك وأبكى، وقرب وأدنى، وأرحم وأخزى، وأطعم وأسقى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى. الذى بكلمته قامت السبع الشداد، وبها رست الرواسى والأوتاد واستقرت الأرض المهاد، فلا مقنوطا من رحمته، ولا مأمونا من مكره وغيرته، وإنفاذ أقضيته وفعله وأمره، ولا مستنكفا عن عبادته، ولا مخلوا من نعمته . فهو المحمود بما أعطى، والمشكور بما زوى، ثم الصلاة على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذى من اتبع ما جاء به اهتدى ومن صدف عنه ضل وارتدى، النبى الصادق المصدوق الزاهد فى الدنيا، الطالب الراغب فى الرفيق الأعلى، المجتبى من خلقه، المنتخب من بريته، الذى جاء الحق بمجيئه، وزهق الباطل بظهوره، وأشرقت الأرض بنوره .

ثم الصلوات الوافيات ، والبركات الطيبات ، الزاكيات المباركات عليه ثانيا وعلى آله الطيبين ، وأصحابه والتابعين ، لهم بإحسان، الأحسنين لربهم فعلا، الأقومين له قيلا، والأصوبين إليه طريقا وسبيلا ، ثم تضرعنا ودعاؤنا ورجوعنا إلى ربنا ، ومنشئنا وخالقنا ورازقنا، ومطعمنا ومسقينا، ونافعنا وحافظنا، وكالئنا ومحيينا . والذابّ والدافع عنا جميع مايؤذينا ويسوءنا، كل ذلك برحمته وتحننه وفضله ومنته بالحفظ الدائم فى الأقوال والأفعال فى السر والإعلان، والإظهار والكتمان والشدة والرخاء والنعمة والبأساء والضراء، إنه فعال لما يريد، والحاكم بما يشاء، العالم بما يخفى ، المطلع على الشؤون والأحوال ، من الزلات والطاعات والقربات ، السامع للأصوات ، المجيب للدعوات، لمن يشاء من غير تنازع وتردد .

أما بعد — فإن نعم الله علىّ كثيرة متواترة ، فى آناء الليل وأطراف النهار والساعات ، واللحظات والخطرات وجميع الحالات ، كما قال عز وجل (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) وقوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) فلا يدان لى ولا جنان ولا لسان فى إحصائها وأعدادها ؛ فلا يدركها التعداد ولا

تضبطها العقول والأذهان ، ولا يحصيها الجنان ، ولا يعبرها اللسان ؛ فمن جملة ماامكن عن تعبيرها اللسان ، وإظهارها الكلام وكتبها البنان ، ويفسره البيان ، كلمات برزت وظهرت لى من [فتوح الغيب] فحلت فى الجنان ، فأشغلت المكان فأنتجها وأبرزها صدق الحال ، فتولى إبرازها لطف المنان ، ورحمة رب الأنام فى قالب صواب المقال ، لمريدى الحق والطلاب .

المقالة الأولى فيما لابد لكل مؤمن

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : لابد لكل مؤمن فى سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمر يمتثله ، ونهى يجتنبه ، وقدر يرضى به ؛ فأقل حالة المؤمن لايخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة ، فينبغى له أن يلزم همها قلبه ، وليحدث بها نفسه ، ويؤاخذ الجوارح بها فى سائر أحواله :

المقالة الثانية فى التواصى بالخير

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا ، ووحدوا ولا تشركوا ، ونزهوا الحق ولا تتهموا، وصدقوا ولا تشكوا، واصبروا ولا تجزعوا واثبتوا ولا تنفروا، واسألوا ولا تسأموا، وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا ، وتواخوا ولا تعادوا، واجتمعوا على الطاعة ولا تتفرقوا، وتحابوا ولا تباغضوا، وتطهروا عن الذنوب وبها لا تدنسوا ولا تتلطخوا وبطاعة ربكم فتزينوا ، وعن باب مولاكم فلا تبرحوا ، وعن الإقبال عليه فلا تتولوا ، وبالتوبة فلا تسوفوا، وعن الاعتذار إلى خالقكم فى آناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا، فلعلكم ترحمون وتسعدون ، وعن النار تبعدون ، وفى الجنة تحبرون ، وإلى الله توصلون ، وبالنعيم وافتضاض الأبكار فى دار السلام تشتغلون وعلى ذلك أبدا تخلدون وعلى النجائب تركبون ، وبحور العين وأنواع الطيب وصوت القيان مع ذلك النعيم تحبرون ، ومع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ترفعون .

المقالة الثالثة فى الابتلاء

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : إذا ابتلى العبد ببلية تحرك أولا فى نفسه بنفسه ، فإن لم يتخلص منها استعان من الخلق كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباب الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب فى الأمراض والأوجاع ، فإن لم يجد فى ذلك خلاصا رجع إلى ربه بالدعاء والتضرع والثناء ، مادام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق ، وما دام يجد به عند الحق نصرة لم يرجع إلى الخالق ، ثم إذا لم يجد عند الخالق نصرة استطرح بين يديه مديما للسؤال والدعاء والتضرع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء، ثم يعجزه الخالق عز وجل عن الدعاء ولم يجبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب ، فحينئذ ينفذ فيه القدر ويفعل فيه الفعل ، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات، فيبقى روحا فقط ، فلا يرى إلا فعل الحق فيصير موقنا موحدا ضرورة يقطع أن لا فاعل فى الحقيقة إلا الله لا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا شر و ضرّ ولا نفع

ولا عطاء ولا منع ، ولافتح ولاغلق ، ولا موت ولا حياة ،
ولاعز ولاذل إلا بيد الله فيصير فى القدر كالطفل الرضيع فى
يد الظئر والميت الغسيل فى يد الغاسل والكرة فى صولجان
الفارس ، يقلب ويغير ويبدل ، ويكون ولاحراك به فى نفسه
ولافى غيره فهو غائب عن نفسه فى فعل مولاه ، فلا يرى غير
مولاه وفعله ، ولا يسمع ولا يعقل من غيره إن بصر وإن سمع ،
وعلم ، فلكلامه سمع ، ولعلمه علم ، وبنعمته تنعم ، وبقربه
تسعد ، وبتقريبه تزين وتشرف ، وبوعده طاب وسكن ، وبه
اطمأن ، وبحديثه أنس ، وعن غيره استوحش ونفر ، وإلى
ذكره التجأ وركن ، وبه عز وجل وثق وعليه توكل ، وبنور
معرفته اهتدى وتقمص وتسربل ، وعلى غرائب علومه اطلع ،
وعلى أسرار قدرته أشرف ، ومنه سمع ووعى ، ثم على ذلك
حمد وأثنى وشكر ودعا .

المقالة الرابعة فى الموت المعنوى

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه: إذا مت عن الخلق قيل لك رحمك الله وأماتك عن الهوى، وإذا مت عن هواك قيل لك رحمك الله وأماتك عن إرادتك ومناك؛ وإذا مت عن الإرادة قيل لك رحمك الله وأحياك حياة لاموت بعدها، وتغنى غنى لافقر بعده، وتعطى عطاء لامنع بعده، وتراح براحة لاشقاء بعدها، وتنعم بنعمة لابؤس بعدها، وتعلم علما لاجهل بعده، وتؤمن أمنا لاخوف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتعز فلا تذل، وتقرب فلا تبعد، وترفع فلا توضع، وتعظم فلا تحقر، وتطهر فلا تدنس، لتحقق فيك الأمانى، وتصدق فيك الأقاويل، فتكون كبريتاً أحمر فلا تكاد ترى، وعزيزا فلا تماثل، وفريدا فلا تشارك، وحيدا فلا تجانس، فردا بفرد ووترا بوتر؛ وغيب الغيب، وسر السر، فحينئذ تكون وارث كل نبى وصديق ورسول، بك تختم الولاية، وإليك تصور الأبدال

وبك تنكشف الكروب ، وبك تسقى الغيوث ، وبك تنبت الزروع ، وبك يدفع البلاء والمحن عن الخاص والعام وأهل الثغور والراعى والرعايا ، والأئمة والأمة وسائر البلايا ، فتكون شحنة البلاد والعباد ، فتنطلق إليك الرجل بالسعى ، والرجال والأيدى بالذل ، والعطاء والخدمة بإذن خالق الأشياء فى سائر الأحوال ، والألسن بالذكر الطيب والحمد والثناء وجميع المجال ، ولا يختلف فيك اثنان من أهل الإيمان ، ياخير من سكن البرارى وجال بها (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) :

المقالة الخامسة

فى بيان حال الدنيا والحث على عدم الالتفات إليها

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا رأيت الدنيا فى يدى أربابها بزينتها وأباطيلها وخدعها ومصائدها وسمومها القتالة ، مع لين مس ظاهرها ، وضراوة باطنها وسرعة إهلاكها ، وقتلها لمن مسها واغتر بها وغفل عن وليها وغيرها بأهلها ونقض عهدها ، فكن

كمن رأى إنسانا على الغائط بالبراز بادية سوأته وفائحة رائحته ؛ فإنك تغض بصرك عن سوأته ، وتسد أنفك من رائحته ونتنه ، فهكذا كن فى الدنيا . إذا رأيتها غض بصرك عن زينتها ، وسد أنفك عما يفوح من روائح شهواتها ولذاتها ، فتنجو منها ومن آفاتها ، ويصل إليك قسمك منها وأنت مهنأ ؛ قال الله تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) :

المقالة السادسة فى الفناء عن الخلق

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : افن عن الخلق بإذن الله تعالى ، وعن هواك بأمر الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وعن إرادتك بفعل الله تعالى ، وحينئذ تصلح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى ، فعلامة فنائك عن خلق الله تعالى انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليأس مما فى أيديهم ،

وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب فى جلب النفع ودفع الضر ، فلا تحرك فيك ولا تتعمد عليك لك ولاتذب عنك ولاتنفر نفسك ، تكل ذلك كله إلى الله تعالى لأنه تولاه أولا فيتولاه آخرا ، كما كان ذلك موكولا إليه فى حال كونك مغيبا فى الرحم ، وكونك رضيعا طفلا فى مهدك ، وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لاتريد مرادا قط ، ولايكون لك غرض ، ولايبقى لك حاجة ولامرام ، فإنك لاتريد مع إرادة الله سواها ، بل يجرى فعل الله فيك ، فتكون أنت عند إرادة الله وفعله ساكن الجوارح مطمئن الجنان منشرح الصدر منور الوجه عامر البطن غنيا عن الأشياء بخالقها ، تقلبك يد القدرة ، ويدعوك لسان الأزل ، ويعلمك رب الملل ، ويكسوك أنواراً منه والحلل ، وينزلك من أولى العلم الأول ، فتكون منكسراً أبداً ؛ فلايثبت فيك شهوة وإرادة كالإناء المنثلم الذى لايثبت فيه مائع وكدر ، فتنقى عن أخلاق البشرية ، فلن يقبل باطنك شيئاً غير إرادة الله عز وجل ، فحينئذ يضاف إليك التكوين وخرق العادات ، فيرى ذلك منك فى ظاهر الفعل والحكم ، وهو فعل الله وإرادته حقا

فى العالم، فتدخل حينئذ فى زمرة المنكسرة قلوبهم الذين كسرت إرادتهم البشرية وأزيلت شهواتهم الطبيعية فاستؤنفت لهم إرادة ربانية كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « حبب إلىّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » فأضيف ذلك بعد أن خرج منه وزال عنه تحقيقاً بما أشرنا ، وتقدم : قال الله تعالى « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى » فإن الله تعالى لايكون عندك حتى تنكر جملة هواك وإرادتك ، فإذا انكسرت ولم يثبت فيك شىء ولم يصلح فيك شىء أنشأك الله فجعل فيك إرادة ، فتريد بتلك الإرادة ، فإذا صرت فى تلك الإرادة المنشأة فيك كسرها الرب تعالى بوجودك فيها ، فتكون منكسر القلب أبدا ، فهو لايزال يجدد فيك إرادة ثم يزيلها عند وجودك فيها هكذا إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، فيحصل اللقا ، فهذا هو معنى «عند المنكسرة قلوبهم من أجلى » ومعنى قولنا عند وجودك فيها هو ركونك وطمأنينتك إليها .

قال الله تعالى فى حديثه القدسى ، الذى يرويه صلى الله عليه وسلم : « لايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى

يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » وفي لفظ آخر « فبي يسمع ، وبي يبطش ، وبي يعقل » وهذا إنما يكون في حالة الفناء لاغير ، فإذا فنيت عنك وعن الخلق ؛ والخلق إنما هو خير وشر ، وكذلك أنت خير وشر ، فلم ترج خيرهم ولا تخاف شرهم بقي الله وحده كما كان ، ففي قدر الله خير وشر ، فيؤمنك من شره ويغرقك في بحار خيره ، فيكون وعاء كل خير ، ومنبعا لكل نعمة وسرور وحبور وضياء وأمن وسكون ، فالفناء والمنى والمبتغى والمنتهى حد ومرد ينتهي إليه مسـير الأولياء ، وهو الاستقامة التي طلبها من تقدم من الأولياء والأبدال أن يفنوا عن إرادتهم وتبدل بإرادة الحق عز وجل ، فيريدون بإرادة الحق أبدا إلى الوفاة ، فلهذا سموا أبدالا رضي الله عنهم ، فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة ، فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة ، فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم ، إذ لا معصوم عن الإرادة إلا الملائكة ، عصموا عن الإرادة ، والأنبياء عصموا عن الهوى ، وبقية الخلق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منهما غير أن الأولياء يعصمهم

يحفظون عن الهوى ، والأبدال عن الإرادة ، ولا يعصمون منهما على معنى يجوز فى حقهم الميل إليهما فى الأحيان ، ثم يتداركهم الله عز وجل باليقظة برحمته .

المقالة السابعة فى إذهاب غمم القلب

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : اخرج من نفسك وتنح عنها ، وانعزل عن ملكك وسلم الكل إلى الله ، فكن بوابه على باب قلبك ، وامتثل أمره فى إدخال من يأمرك بإدخاله ، وانته بنهيه فى صد من يأمرك بصده ، فلا تدخل الهوى قلبك بعد أن خرج منه ، فإخراج الهوى من القلب بمخالفته ، وترك متابعته فى الأحوال كلها ، وإدخاله فى القلب بمتابعته وموافاته ، فلا ترد إرادة غير إرادته وغير ذلك منك تمنٍّ وهو وادى الحمقاء ، وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه وحجابك عنه ، احفظ أبدا أمره ، وانته أبدا نهيه وسلم أبدا لمقدوره ، ولا تشركه بشىء من خلقه ، فإرادتك

وهواك وشهواتك كلها خلقه ، فلا ترد ولا تهو ولا تشته كيلا تكون مشركا . قال الله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ليس الشرك عبادة الأصنام فحسب ، بل هو متابعتك هواك ، وأن تختار مع ربك شيئا سواه من الدنيا وما فيها والآخرة ومافيها ، فما سواه عز وجل غيره ، فإذا ركنت إلى غيره فقد أشركت به عز وجل غيره ، فاحذر ولا تركن ، وخف ولا تأمن وفتش ، فلا تغفل فتطمئن ، ولا تضف إلى نفسك حالا ولا مقاما ، ولا تدع شيئا من ذلك ، فإن أعطيت حالا أو أقمت فى مقام فلا تخبر شيئا واحدا من ذلك ، فإن الله كل يوم هو فى شأن ، فى تغيير وتبديل ، وأنه يحول بين المرء وقلبه ، فيزيلك عما أخبرت به ، ويغيرك عما تخيلت ثباته وبقاءه ، فتخجل عند من أخبرته بذلك بل احفظ ذلك فيك ولا تعده إلى غيرك فإنه كل الثبات والبقاء ، فتعلم أنه موهبة وتسأل التوفيق للشكر واسترؤيته وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب ، قال الله عز وجل (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير) فلا تعجز

الله فى قدرته ، ولا تتهمه فى تقديره ولا تدبيره ، ولا تشك فى وعده ؛ فليكن لك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، نسخت الآيات والسور النازلة عليه المعمولة بها المقروءة فى المحاريب المكتوبة فى المصاحف ، ورفعت وبدلت وأثبت غيرها مكانها ، ونقل صلى الله عليه وسلم إلى غيرها ، هذا فى ظاهر الشرع ، وأما فى الباطن والعلم والحال فيما بينه وبين الله عز وجل فكان يقول « إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى كل يوم سبعين مرة » ويروى «مائة مرة » وكان صلى الله عليه وسلم ينقل من حالة إلى أخرى ويسير به فى منازل القرب وميادين الغيب ، ويغير عليه خلع الأنوار، فتبين الحالة الأولى عند ثانيها ظلمة ونقصانا وتقصيرا فى حفظ الحدود ، فيلقن الاستغفار لأنه أحسن حال العبد ، والتوبة فى سائر الأحوال لأن فيها اعترافه بذنبه وقصوره ، وهما صفتا العبد فى سائر الأحوال ؛ فهما وراثة من أبى البشر آدم عليه السلام إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اعتورت صفاء حاله ظلمة النسيان للعهد والميثاق ، وإرادة الخلود فى دار السلام ، ومجاورة الحبيب الرحمن المنان، ودخول الملائكة الكرام عليه

بالتحية والسلام ، فوجدت هناك نفسه مشاركة إرادته لإرادة الحق ، فانكسرت لذلك تلك الإرادة ، وزالت تلك الحلة ، وانعزلت تلك الولاية ، فانهبطت تلك المنزلة وأظلمت تلك الأنوار وتكدر ذلك الصفاء ، ثم تنبه وذكر صفى الرحمن ، فعرف الاعتراف بالذنب والنسيان ، ولقن الإقرار فقال (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) فجاءت أنوار الهداية وعلوم التوبة ومعارفها ، والمصالح المدفونة فيها ما كان غائبا من قبل ، فلم تظهر إلا بها ، فبدلت تلك الإرادة بغيرها والحالة الأولى بأخرى ، وجاءته الولاية الكبرى والسكون فى الدنيا ثم فى العقبى ، فصارت الدنيا له ولذريته منزلا ، والعقبى لهم موئلا ومرجعاً ومخلداً ، فلك برسول الله وحبيبه المصطفى وأبيه آدم صفى الله عنصر الأحباب والأخلاء أسوة فى الاعتراف بالقصور والاستغفار فى الأحوال كلها

المقالة الثامنة فى التقرب إلى الله

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : إذا كنت فى حالة لا تختر
غيرها أعلى منها ولا أدنى ، فإذا كنت على باب دار الملك لا تختر
الدخول إلى الدار حتى تدخل إليها جبراً لا اختياراً ، وأعنى
بالجبر أمراً عنيفاً متأكداً متكرراً ، ولا تكتف بمجرد الإذن
فى الدخول ، لجواز أن يكون ذلك مكراً وخديعة من الملك ،
لكن اصبر حتى تجبر على الدخول فتدخل الدار جبراً محضاً
وفضلا من الملك ، فحينئذ لا يعاقبك الملك على فعله ، إنما
تتعرض العقوبة لك اشؤم تخيرك وشرهك ، وقلة صبرك وسوء
أدبك ، وترك الرضى بحالتك التى أقمت فيها ، فإذا حصلت
فكن مطرقاً غاضاً لبصرك متأدباً ، محافظاً لما تؤمر به من الشغل
والخدمة فيها غير طالب للترقى إلى الذروة العليا ه قال الله
عز وجل (ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم زهرة
الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) فهذا تأديب
منه عز وجل لنبيه المختار صلى الله عليه وسلم فى حفظ الحال

والرضا بالعطاء بقوله «ورزق ربك خير وأبقى» أى ماأعطيتك من الخيروالنبوة والعلم والقناعة والصبر وولاية الدين. والغزوة فيه أولى مما أعطيت غيرك وأحرى، فالخير كله فى حفظ الحال والرضا بها وترك الالتفات إلى ماسواها ، لأنه لايخلو إما أن يكون قسمك أوقسم غيرك ، أو أنه لاقسم لأحد بل أوجده الله فتنة، فإن كان قسمك وصل إليك شئت أم أبيت فلاينبغى أن يظهر منك سوء الأدب والشره فى طلبه ، فإن ذلك غير محمود فى قضية العلم والعقل ، وإن كان قسم غيرك فلا تتعب فيما لم تناوله ولايصل إليك أبدا ، وإن كان ليس بقسم لأحد بل هو فتنة فكيف يرضى العاقل ويستحسن أن يطلب لنفسه فتنة ويستجلبها لها ، فقد ثبت أن الخير كله والسلامة فى حفظ الحال ، فإذا رقيت إلى الغرفة ثم إلى السطح فكن كما ذكرنا من الحفظ والإطراق والأدب، بل يتضاعف ذلك منك ، لأنك أقرب إلى ظلك وأدنى بالخطر ، فلا تتمن الانتقال منها إلى أعلى منها ولا إلى أدنى ، ولاثباتها وبقاءها ، ولاتغير وصفها وأنت فيها ، ويكون لك فى ذلك اختيار ألبتة ، فإن ذلك كفر فى نعمة الحال والكفر يحل بصاحبه الهوان فى الدنيا والآخرة

فاعمل على ماذكرنا أبدا حتى ترقى إلى حالة تصير لك مقاما تقام فيه فلا تزال عنه، فتعلم حينئذ أنه موهبة ظهر بيانها ودليلها فتمسكه ولاتزل ، فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال ، والله يتولى هداك .

المقالة التاسعة فى الكشف والمشاهدة

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : يكشف للأولياء والأبدال فى أفعال الله مايبهر العقول ويخرق العادات والرسوم فهى على قسمين جلال وجمال ؛ فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج ، والغلبة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح ، كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم «كان يسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل فى الصلاة من شدة الخوف » لما يرى من جلال الله عز وجل وينكشف له من عظمته ، ونقل مثل ذلك عن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وعمر الفاروق رضى الله عنه .

أما مشاهدة الجمال : فهو تحلى القلوب بالأنوار والسرور والألطاف ، والكلام اللذيذ والحديث الأنيس ، والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية ، والقرب منه عز وجل مما سيئول أمرهم إلى الله ، وجف به القلم من أقسامهم فى سابق الدهور فضلا منه ورحمة ، وإثباتا منه لهم فى الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور ، لئلا يفرط بهم المحبة من شدة الشوق إلى الله تعالى فتنفطر مرائرهم . فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذى هو الموت ، فيفعل ذلك بهم لطفاً منه ورحمة ومداواة ، وتربية لقلوبهم ومداراة لها (إنه حكيم عليم) لطيف بهم (رءوف رحيم) ولهذا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول لبلال المؤذن رضى الله عنه « أرحنا يابلال بالإقامة ، لندخل فى الصلاة » لمشاهدة ماذكرنا من الحال ، ولهذا قال « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

المقالة العاشرة فى النفس وأحوالها

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : إنما هو الله ونفسك وأنت المخاطب ، والنفس ضد الله وعدوه ، والأشياء كلها تابعة لله ، والنفس لله خلقاً وملكاً ، وللنفس ادعاء وتمن وشهوة ولذة بملابستها ، فإذا وافقت الحق عز وجل فى مخالفة النفس وعدوانها فكنت لله خصما على نفسك كما قال الله عز وجل لداود عليه السلام : « ياداود أنا بدك اللازم فالزم بدك. العبودية أن تكون خصما على نفسك » فتحققت حينئذ موالاتك وعبوديتك لله عز وجل ، وأتتك الأقسام هنيئاً مريئاً مطيباً وأنت عزيز ومكرم ، وخدمتك الأشياء وعظمتك وفخمتك ، لأنها بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشئها ، وهى مقرة له بالعبودية . قال الله تعالى (وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم - فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فالعبادة كل العبادة فى مخالفة نفسك . قال

الله تعالى (فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وقال لداود
عليه السلام : « اهجر هواك فإنه منازع » .

والحكاية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله لما رأى
رب العزة فى المنام فقال له : كيف الطريق إليك ؟ قال اترك
نفسك وتعال ، فقال فانسلخت من نفسى كما تنسلخ الحية من
جلدها ، فإذا الخير كله فى معاداتها فى الجملة الأحوال
كلها ، فإن كنت فى حال التقوى فخالف النفس ، بأن
تخرج من حرام الخلق وشبههم ومنتهم والاتكال عليهم والثقة
بهم والخوف منهم ، والرجاء لهم والطمع فيما عندهم من أحكام
الدنيا ، فلا تبرح عطاياهم على طريق الهداية والزكاة والصدقة
أو النذر ، فاقطع همك منهم من سائر الوجوه والأسباب حتى
إن كان لك نسب ذو مال لا تتمن موته لترث ماله ، فاخرج
من الخلق جدا واجعلهم كالباب يرد ويفتح ، وشجرة توجد
فيها ثمرة تارة وتختل أخرى وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر
وهو الله جل وعلا ، لتكون موحدا للرب ، ولا تنس مع ذلك
كسبهم لتخلص من مذهب الجبرية ، واعتقد أن الأفعال لا تتم
بهم دون الله لا تعبدهم وتنسى الله ، ولا تقل فعلهم دون الله

فتكفر فتكون قدريا ، لكن قل هى لله خلقاً وللعباد كسباً كما
جاءت به الآثار ، لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب ،
وامتثل أمر الله فيهم ، وخلص قسمك منهم بأمره ولا تجاوزه
فحكم الله قائم بحكمه عليك وعليهم ، فلا تكن أنت الحاكم ،
وكونك معهم قدر والقدر ظلمة فادخل بالظلمة فى المصباح
وهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لاتخرج عنهما
فإن خطر خاطر أو وجد إلهام فاعرضه على الكتاب والسنة ،
فإن وجدت فيها تحريم ذلك مثل أن تلهم بالزنا والرياء ومخالطة
أهل الفسق والفجور وغير ذلك من المعاصى ، فادفعه عنك
واهجره ولاتقبله ولاتعمل به ، واقطع بأنه من الشيطان اللعين
وإن وجدت فيها إباحة كالشهوات المباحة من الأكل أو الشرب
أو اللبس أو النكاح فاهجره أيضا ولا تقبله ، واعلم أنه من
إلهام النفس وشهواتها وقد أمرت بمخالفتها وعداوتها وإن لم تجد
فى الكتاب والسنة تحريمه وإباحته ، بل هو أمر لاتعقله مثل
السائق لك ، ائت موضع كذا وكذا ، الق فلانا صالحا ، ولاحاجة
لك هناك ولا فى الصالح لاستغنائك عنه بما أولاك الله من نعمته
من العلم والمعرفة ، فتوقف فى ذلك ولا تبادر إليه فتقول هذا

إلهام من الحق جل وعلا فاعمل به بل انتظر الخير كله فى ذلك وفعل الحق عز وجل بأن يتـكرر ذلك الإلهام وتؤمر بالسعى ، أو علامة تظهر لأهل العلم بالله عز وجل يعقلها العقلاء من الأولياء والمؤيدون من الأبدال ، وإنما لم يتبادر إلى ذلك لأنك لا تعلم عاقبته ومايئول الأمر إليه، وما كان فيه فتنة وهلاك ومكر من الله وامتحان فاصبر حتى يكون هو عز وجل الفاعل فيك، فإذا تجرد الفعل وحملت إلى هناك واستقبلتك فتنة كنت محمولا محفوظا فيها ، لأن الله تعالى لا يعاقبك على فعله وإنما تتطرق العقوبة نحوك لكونك فى الشىء ، وإن كنت فى حالة الحقيقة وهى حالة الولاية فخالف هواك واتبع الأمر فى الجملة .

واتباع الأمر على قسمين : أحدهما أن تأخذ من الدنيا القوت الذى هو حق النفس وتترك الحظ ، وتؤدى الفرض وتشتغل بترك الذنوب ماظهر منها وما بطن .

والقسم الثانى ما كان بأمر باطن، وهو أمر الحق عز وجل، يأمر عبده وينهاه ، وإنما يتحقق بهذا الأمر فى المباح الذى ليس له حكم فى الشرع على معنى ليس من قبيل النهى ولا من قبيل

الأمر الواجب ، بل هو مهمل ترك العبد يتصرف فيه باختياره فسمى مباحا فلا يحدث العبد فيه شيئا من عنده بل ينتظر الأمر فيه ، فإذا أمل امتثل فتصير حركاته وسكناته بالله عز وجل مافى الشرع حكمه فبالشرع وما ليس له حكم فى الشرع فبالأمر الباطن فحينئذ يصير محقا من أهل الحقيقة ، وماليس فيه أمر باطن فهو مجرد الفعل حالة التسليم ، وإن كنت فى حالة حق الحق وهى حالة المحو والفناء وهى حالة الأبدال المنكسرى القلوب لأجله الموحدين العارفين أرباب العلوم والعقل السادة الأمراء الشحن خفراء الخلق خلفاء الرحمن وأخلائه وأعيانه وأحبائه عليهم السلام ، فاتباع الأمر فيها بمخالفتك إياك بالتبرى من الحول والقوة ، وأن لايكون لك إرادة وهمة فى شىء البتة دنيا وعقبى ، فتكون عبد الملك لا عبد الملك وعبد الأمر لا عبد الهوى ، كالطفل مع الظئر ، والميت الغسيل مع الغاسل ، والمريض المقلوب على جنبيه بين يدى الطبيب فيما سوى الأمر والنهى ، والله أعلم .

المقالة الحادية عشرة فى الشهوة

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه: وإذا ألقيت عليك شهوة النكاح فى حالة الفقر وعجزت عن مؤنته فصبرت عنه منتظر الفرج من البارى عز وجل، إما بزوالها وإقلاعها عنك بقدرته التى ألقاها عليك وأوجدها فيك فيعينك أو يصونك وحيويتك عن حمل مؤنتها أيضا أو بإيصالها إليك موهبة مهنئا مكفيا من غير ثقل فى الدنيا ولا تعب فى العقبى ، وسماك الله عز وجل صابرا شاكرا لصبرك عنها راضيا بقسمته فزادك عصمة وقوة. فإن كانت قسما لك ساقها إليك مكفيا مهنئا فينقلب الصبر شكرا ، وهو عز وجل وعد الشاكرين بالزيادة فى العطاء. قال عز وجل (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد).

وإن لم تكن قسما لك فالغنى عنها بقلعها من القلب إن شاءت النفس أو أبت ، فلازم الصبر وخالف الهوى وعانق الأمر وارض بالقضاء ، وارج بذلك الفضل والعطاء ، وقد قال الله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب).

المقالة الثانية عشرة فى النهى عن حب المال

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا أعطاك الله عز وجل مالا فاشتغلت به عن طاعته حجبك به عنه دنيا وأخرى ، وربما سلبك إياه وغيرك وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن المنعم ، وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعله لك موهبة ولم ينقص منه حبة واحدة وكان المال خادمك وأنت خادم المولى ، فتعيش فى الدنيا مدللا وفى العقبى مكرما مطيبا فى جنة المأوى مع الصديقين والشهداء والصالحين .

المقالة الثالثة عشرة فى التسليم لأمر الله

قال رضى الله عنه : لاتختر جلب النعماء ولا دفع البلوى فالنعماء إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها ، والبلوى حالة بك إن كانت قسمك مقضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء أو صبرت أو تجلدت لرضى المولى ، بل سلم فى الكل ،

فيفعل الفعل فيك ، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر ، وإن كانت البلوى فاشتغل بالتصبر والصبر ، أو الموافقة والتنعم بها أو العدم أو الفناء فيها على قدر ماتعطى من الحالات وتنقل فيها ، وما تسير فى المنازل فى طريق المولى الذى أمرت بطاعته والموالاة ، لتصل إلى الرفيق الأعلى ، فتقام حينئذ مقام من تقدم ومضى من الصديقين والشهداء والصالحين ، لتعاين من سبقك إلى المليك ومنه دنا ، ووجد عنده كل طريفة وسرورا وأمنا ، وكرامة ونعيما :

دع البلية تزورك ، خل من سبيلها ، ولا تقف ولا تجزع من مجيئها وقربها ، فليس نارها أعظم من نار جهنم ولظى ، فقد ثبت فى الخبر المروى عن خير البرية . وخير من حملته الأرض وأظلته السماء محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن نار جهنم تقول للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي » فهل كان نور المؤمن الذى أطفأ لهب النار فى لظى إلا الذى صحبه فى الدنيا الذى لمن يمر بها من أطاعها وعصى ، فليطفىء هذا النور لهب البلوى ، ولتجد برد صبرك وموافقتك للمولى وهيج ماحل بك من ذلك ومنك دنا ، فالبلية لم تأتك لتهلكك ،

لكنها تأتيك لتجربك وتحقق صحة إيمانك وتوثيق عروة يقينك ويبشرك باطنها من مولاك بمباهاته بك، قال الله تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) فإذا ثبت مع الخلق إيمانك ووافقته فى فعله بيقينك كل ذلك بتوفيق منه ومنة ، فكن حينئذ أبدا صابرا موافقا مسلما لا تحدث فيك ولا فى غيرك حادثة ماخرج عن الأمر والنهى ، فإذا كان أمره عز وجل فتسامع وتسارع وتحرك ولا تسكن ولا تسلم للقدر والفعل، بل ابذل طوقك ومجهودك لتؤدى الأمر ، فإن عجزت فدونك الالتجاء إلى مولاك عز وجل ، فالتجىء إليه وتضرع واعتذر ، وفتش عن سبب عجزك عن أداء أمره وصدك عن التشوق لطاعته لعل ذلك لشؤم دعائك وسوء أدبك فى طاعته ، ورعونتك واتكالك على حولك وقوتك ، وإعجابك بعلمك وشركك إياك بنفسك وخلقه ، فصدك عن بابه ، وعزلك عن طاعته وخدمته ، وقطع عنك مدد توفيقه ، وولى عنك وجهه الكريم ، ومقتك وقلاك ، وشغلك ببلائك دنياك وهواك ، وإرادتك ومناك :

أما تعلم أن كل ذلك مشغول عن ذلك ، وقاطعك عن عين الذى خلقك ورباك ، وخوّلك وأعطاك وحياك ؟

احذر لايلهيك عن مولاك غيره مولاك ، وكل من سوى مولاك غيره ، فلا تؤثر عليه غيره فإنه خلقك له ؛ فلا تظلم نفسك فتشغل بغيره عن أمره فيدخلك النار التى وقودها الناس والحجارة فتندم ، فلا ينفعك الندم ، وتعتذر فلا تعذر ، وتستعتب فلا تعتب ، وتسترجع إلى الدنيا لتستدرك وتصلح فلا ترجع .

ارحم نفسك وأشفق عليها ، واستعمل الآلات والأدوات التى أعطيتها فى طاعة مولاك من الفعل والإيمان والمعرفة والعلم ، استضئ بنورها فى ظلمات الأقدار ، وتمسك بالأمر والنهى ، وسيرهما فى طريق مولاك وسلم ما سواهما إلى الذى خلقك وأنشاك ، فلا تكفر بالذى خلقك من تراب ورباك ، ثم من نطفة ثم رجلا سواك ؛ ولا ترد غير أمره ، ولاتكره غير نهيه .

اقنع من الدنيا والأخرى بهذا المراد واكره فيهما هذا المكروه ، فكل مايراد تبع لهذا المراد ، وكل مكروه تبع لهذا المكروه .

إذا كنت مع أمره كانت الأكوان فى أمرك ، وإذا كرهت نهيه فرت منك المكاره أين كنت وحللت .

قال الله عز وجل فى بعض كتبه « يا ابن آدم أنا الله لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون ، أطعنى أجعلك تقول للشيء كن فيكون » وقال عز وجل : « يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فأتعبيه » فإذا جاء نهيه عز وجل فكن كأنك مسترخى المفاصل ، مسكن الحواس ، مضيق الذرع ، متماوت الجسد زائل الهوى ، منطمس الوسوم ، منمحى الرسوم ، منسى الأثر مظلم القنا ، متهدم البناء ، خاوى البيت ، ساقط العرش ، لا حس ولا أثر ، فليكن سمعك كأنه أصم وعلى ذلك مخلوق وبصرك كأنه معصب أو مرمود أو مطموس ، وشفتاك كأن بهما قرحة وبثورا ، ولسانك كأن به خرسا وكلولا وأسنانك كأن بهما ضربانا وألما نشورا ، ويداك كأن بهما شللا وعن البطش قصورا ، ورجلاك كأن بهما رعدة وارتعاشا وجروحا ، وفرجك كأن به عنة وبغير ذلك الشأن مشغولا ، وبطنك كأن به امتلاء وارتواء وعن الطعام غنى ، وعقلك كأنك مجنون ومخبول ، وجسدك كأنك ميت وإلى القبر محمول ، فالمسامع

والتسارع فى الأمر ، والتقاعد والتجاعد والتقاصر فى النهى ، والتماوت والتعادم والتفانى فى القدر ، فاشرب هذه الشربة ، وتداو بهذا الدواء ، وتغذ بهذا الغذاء تنجح وتشفى ، وتعافى من أمراض الذنوب وعلل الأهواء ، بإذن الله تعالى إن شاء الله .

المقالة الرابعة عشرة فى اتباع أحوال القوم

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : لاتدع حالة القوم ياصاحب الهوى أنت تعبد الهوى وهم عبيد المولى ، أنت رغبتك فى الدنيا ورغبة القوم فى العقبى ، أنت ترى الدنيا وهم يرون رب الأرض والسماء ، وأنت أنسك بالخلق وأنس القوم بالحق ، أنت قلبك متعلق بمن فى الأرض وقلوب القوم برب العرش ، أنت يصطادك من ترى وهم لايرون من ترى ، بل يرون خالق الأشياء ومايرى ، فاز القوم به وحصلت لهم النجاة ، وبقيت أنت مرتهنا بما تشتهى من الدنيا وتهوى ، فنوا عن الخلق والهوى والإرادة والمنى فوصلوا إلى الملك الأعلى ، فأرفقهم على غاية ما رام منهم من الطاعة والحمد والثناء

(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) فلازموا ذلك وواظبوا بتوفيق منه وتيسير بلا عناء ، فصارت الطاعة لهم روحا وغذاء ، وصارت الدنيا إذ ذاك فى حقهم نقمة وخزيا ، فكأنها لهم جنة المأوى إذ مايرون شيئا من الأشياء حتى يروا قبله فعل الذى خلق وأنشأ فيهم ثبات الأرض والسماء ، وقرار الموت والإحياء إذ جعلهم مليكهم أوتادا للأرض التى دحى ، فكل كالجبل الذى رسا ، فتنح عن طريقهم ولاتزاحم من لم يفده عن قصده الآباء والأبناء ، فهم خير من خلق ربى وبث فى الأرض وذرأ ، فعليهم سلام الله وتحياته مادامت الأرض والسماء .

المقالة الخامسة عشرة فى الخوف والرجاء

قال قدس سره العزيز : رأيت فى المنام كأنى فى موضع شبه مسجد وفيه قوم منقطعون ، فقلت لو كان لهؤلاء فلان يؤدبهم ويرشدهم ، فأشرت إلى رجل من الصالحين فاجتمع القوم حولى فقال واحد منهم : فأنت لأى شىء لاتتكلم ؟ فقلت : إن رضيتمونى لذلك ، ثم قلت : إذا انقطعتم من الخلق إلى الحق

فلا تسألوا الناس شيئا بألسنتكم ، فإذا تركتم ذلك فلا تسألوهم بقلوبكم ، فإن السؤال بالقلب كالسؤال باللسان .

ثم اعلموا أن الله كل يوم هو فى شأن ، فى تغيير وتبديل ورفع وخفض ؛ فقوم يرفعهم إلى عليين ، وقوم يحطهم إلى أسفل سافلين ، فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين ، ورجاؤهم أن يبقيهم ويحفظهم على ماهم عليه من الرفع . وخوف الذين حطهم إلى أسفل سافلين ،أن يبقيهم ويخلدهم على ماهم فيه من الحط ؛ ورجاؤهم أن يرفعهم إلى عليين ، ثم انتبهت .

المقالة السادسة عشرة فى التوكل ومقاماته

قال رضى الله عنه : ماحجبت عن فضل الله والبدء بنعمه إلا لاتكالك على الخلق والأسباب ، والصنائع والاكتساب ، فالخلق حجابك عن الأكل بالسنة وهو المكسب ، فما دمت قائما مع الخلق راجيا لعطاياهم وفضلهم سائلا لهم مترددا إلى أبوابهم فأنت مشرك بالله خلقه ، فيعاقبك بحرمان الأكل بالسنة

الذى هو الكسب من حلال الدنيا ، ثم إذا تبت عن القيام مع الخلق وشركاك بربك عز وجل إياهم ورجعت إلى الكسب فتأكل بالكسب وتتوكل على الكسب وتطمئن إليه وتنسى فضل الرب عز وجل ، فأنت مشرك أيضا ، إلا أنه شرك خفى أخفى من الأول ، فيعاقبك الله عز وجل ويحجبك عن فضله والبداءة به ، فإذا تبت عن ذلك وأزات الشرك عن الوسط ، ورفعت اتكالك عن الكسب والحول والقوة ، ورأيت الله عز وجل هو الرزاق ، وهو المسبب والمسهل والمقوى على الكسب ، والموفق لكل خير ، والرزق بيده تارة يواصلك به بطريق الخلق على وجه المسألة لهم فى حالة الابتلاء أو الرياضة أو عند سؤالك له عز وجل ، وأخرى بطريق الكسب معاوضة وأخرى من فضله مبادأة من غير أن ترى الواسطة والسبب ، فرجعت إليه واستطرحت بين يديه ، رفع الحجاب بينك وبين فضله ، وبادك وغذاك بفضله ، عند كل حاجة على قدر ما يوافق حالك ، كفعل الطبيب الشفيق الرفيق الحبيب للمريض حماية منه عز وجل ، وتنزيها لك عن الميل إلى من سواه ، يرضيك بفضله ، فإذا ينقطع عن قلبك كل إرادة وكل شهوة

ولذة ومطلوب ومحبوب ، فلا يبقى فى قلبك سوى إرادته عز وجل ، فإذا أراد أن يسوق إليك قسمك الذى لابد من تناوله وليس هو رزقا لأحد من خلقه سواك ، أوجد عندك شهوة ذلك القسم وساقه إليك ؛ فيواصلك به عند الحاجة ، ثم يوفقك ويعرفك أنه منه وهو سائقه إليك ورازقه لك ، فتشكره حينئذ وتعرف وتعلم ، فيزيدك خروجا من الخلق وبعدا من الأنام وأخليت الباطن عما سواه عز وجل . ثم إذا قوى علمك ويقينك ، وشرح صدرك ونور قلبك ، وزاد قربك من مولاك ومكانتك لديه عنده ، وأهليتك لحفظ الأسرار علمت متى يأتيك قسمك كرامة لك وإجلالا لحرمتك فضلا منه ومنة وهداية : قال الله عز وجل (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) ثم يرد عليك التكوين فتكون بالإذن الصريح الذى هو لاغبار عليه والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة ، وبكلامه اللذيذ الذى هو ألذ من كل لذيذ ، وإلهام صدق من غير تلبس مصفى من هواجس النفس ووساوس الشيطان اللعين .

قال الله تعالى فى بعض كتبه « ياابن آدم أنا الله الذى لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون ، أطعنى أجعلك تقول للشيء كن فيكون » وقد فعل ذلك بكثير من أنبيائه وأوليائه وخواصه من بنى آدم .

المقالة السابعة عشرة

فى كيفية الوصول إلى الله بواسطة المرشد

قال رضى الله تعالى عنه : إذا وصلت إلى الله وقربت بتقريبه وتوفيقه. ومعنى الوصول إلى الله عز وجل خروجك عن الخلق والهوى والإرادة والمنى ، والثبوت مع فعله ومن غير أن يكون منك حركة فيك ولا فى خلقه بك ؛ بل بحكمه وأمره وفعله ، فهى حالة الفناء يعبر عنها بالوصول ؛ فالوصول إلى الله عز وجل ليس كالوصول إلى أحد من خلقه المعقول المعهود (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) جل الخالق أن يشبه بمخلوقاته أو يقاس على مصنوعاته ، فالواصل إليه عز وجل معروف عند أهل الوصول بتعريفه عز وجل لهم كل واحد على حدة

لايشاركه فيه غيره ، وله عز وجل مع كل واحد من رسله وأنبيائه وأوليائه سر من حيث هو لا يطلع على ذلك أحد غيره ، حتى أنه قد يكون للمريد سر لايطلع عليه شيخه ، وللشيخ سر لايطلع عليه مزيده الذى قد دنا سيره إلى عتبة باب حالة شيخه ، فإذا بلغ المريد حالة شيخه أفرد عن الشيخ وقطع عنه ، فيتولاه الحق عز وجل فيفطمه عن الخلق جملة ، فيكون الشيخ كالظئر والداية ، لارضاع بعد الحولين ، ولا خلق بعد زوال الهوى والإرادة . الشيخ يحتاج إليه مادام ثم هوى وإرادة لكسرهما ، وأما بعد زوالها فلا ، لأنه لا كدورة ولا نقصان . فإذا وصلت إلى الحق عز وجل على ما بينا فكن آمنا أبداً من سواه عز وجل فلا ترى لغيره وجودا البتة ، لا فى الضر ولا فى النفع ، ولا فى العطاء ولا فى المنع ، ولا فى الخوف ولا فى الرجاء ، هو عز وجل أهل التقوى وأهل المغفرة ، فكن أبدا ناظرا إلى فعله مترقبا لأمره ، مشتغلا بطاعته ، مباينا عن جميع خلقه دنيا وأخرى :

لا تعلق قلبك بشىء منهم واجعل الخليقة أجمع كرجل كتفه سلطان عظيم ملكه شديد أمره ، مهولة صولته وسطوته ، ثم جعل الغل فى رقبته مع رجليه ، ثم صلبه على شجرة الأذرة على شاطئ

نهر عظيم موجه ، فسيح عرضه ، عميق غوره ، شديد جريه ، ثم جلس السلطان على كرسيه ، عظيم قدره ، عال سماؤه ، بعيد مرامه ووصوله ، وترك إلى جنبه أحمالا من السهام والرماح والنبل وأنواع السلاح والقسى ومما لا يبلغ قدرها غيره ، فجعل يرمى إلى المصلوب بما شاء من ذلك السلاح ، فهل يحسن لمن يرى ذلك أن يترك النظر إلى السلطان والخوف منه والرجاء له وينظر إلى المصلوب ويخاف منه ويرجوه ، أليس من فعل ذلك يسمى فى قضية العقل عديم العقل والحس مجنونا . بهيمة إنسان ؟ نعوذ بالله من العمى بعد البصيرة ، ومن القطيعة بعد الوصول ، ومن الصدود بعد الدنو والقرب ، ومن الضلالة بعد الهداية ، ومن الكفر بعد الإيمان . فالدنيا كالنهر العظيم الجارى الذى ذكرناه كل يوم فى زيادة ماء وهى شهوات بنى آدم ولذاتهم فيها ، والدواهى التى تصيبهم منها . وأما السهام وأنواع السلاح فالبلايا التى يجرى بها القدر إليهم ، فالغالب على بنى آدم فى الدنيا البلايا والنفع والآلام والمحن ، وما يجدون من النعم واللذات فيها فمشوبة بالآفات إذا اعتبرها كل عاقل لا حياة له ولا عيش ولا راحة إلا فى الآخرة إن كان مؤمنا ، لأن ذلك

خصوصا فى حق المؤمن .قال النبي صلى الله عليه وسلم « لاعيش إلا عيش الآخرة » وقال عليه الصلاة والسلام« لاراحة للمؤمن دون لقاء ربه » ذلك فى حق المؤمنين . وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقال عليه الصلاة والسلام « التقى ملجم » فمع هذه الأخبار والعيان كيف يدعى طيب العيش فى الدنيا. فالراحة كل الراحة فى الانقطاع إلى الله عز وجل وموافقته ، والاستطراح بين يديه : فيكون العبد بذلك خارجا عن الدنيا ، فحينئذ يكون الدلال رأفة ورحمة ولطفا وصدقة وفضلا ، والله أعلم .

المقالة الثامنة عشرة فى النهى عن الشكوى

قال رضى الله عنه : الوصية لاتشكون إلى أحد مانزل بك من خير كائنا من كان صديقا أوعدوا ولاتتهمن الرب عزوجل فيما فعل فيك وأنزل بك من البلاء ، بل أظهر الخير والشكر ، فكذبك بإظهارك للشكر من غير نعمة عندك خير من صدقك فى إخبارك جلية الحال بالشكوى ، من الذى خلا من نعمة الله

عز وجل ؟ قال الله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فكم من نعمة عندك وأنت لا تعرفها ؟ لاتسكن إلى أحد من الخلق ، ولاتستأنس به ، ولاتطلع أحد على ما أنت فيه ، بل يكون أنسك بالله عز وجل وسكونك إليه وشكواك منه إليه لاترى ثانيا ، فإنه ليس لأحد ضر ولا نفع ، ولا جلب ولا دفع ، ولا عز ولا ذل ، ولا رفع ولا خفض ، ولافقر ولا غنى ، ولاتحريك ولاتسكين ، الأشياء كلها خلق الله عزوجل بيد الله عز وجل ، بأمره وإذنه جريانها ، وكل يجرى لأجل مسمى ، وكل شيء عنده بمقدار ، لا مقدم لما أخر ، ولا مؤخر لما قدم ، قال الله عز وجل (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فإن شكوت منه عز وجل وأنت معافى وعندك نعمة طالبا للزيادة وتعاميا عن ماله عندك من النعمة والعافية استهزاء بها ، غضب عليك وأزالها عنك ، وحقق شكواك ، وضاعف بلواك ، وشدد عقوبتك ومقتك وقلاك ، وأسقطك من عينه ، احذر الشكوى جدا ولو قطعت وقرض لحمك بالمقاريض :

إياك إياك ثم إياك ، الله الله ثم الله ، النجاة النجاة ، الحذر الحذر ، فإن أكثر ماينزل بابن آدم من أنواع البلاء بشكواه من ربه عز وجل . كيف يشتكى منه عزوجل وهو أرحم الراحمين ، وخير الحاكمين ، حكيم خبير ، رءوف رحيم ، لطيف بعباده. وليس بظلام للعبيد ، كطبيب حكيم حبيب شفيق لطيف وقريب هل تتهم الوالدة الرحيمة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم «الله أرحم بعبده من الوالدة بولدها » أحسن الأدب يا مسكين ، تصبر عند البلاء إن ضعفت عن الصبر ، ثم اصبر إن ضعفت عن الرضا والموافقة . ثم ارض ووافق إن وجدت ، ثم افن إذا فقدت : أيها الكبريت الأحمر أين أنت أين توجد وترى ؟ أما تسمع إلى قوله عز وجل (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) طوى عنك علم حقيقة الأشياء وحجبك عنه ، فلا تسىء الأدب فتكره بلك أو تحب بلك ، بل اتبع الشرع فى جميع ماينزل بك إن كنت فى حالة التقوى التى هى القدم الأولى ، واتبع الأمر فى حالة الولاية وخمود وجود الهوى ولا تجاوزه وهى القدم الثانية ، وارض بالفعل

ووافق ، وافن فى حالة البدلية والغوثية والقطبية والصديقية ، وهى المنتهى . تنح عن طريق القـدر ، خل عن سبيله ، رد نفسك وهواك ، كف لسانك عن الشكوى ؛ فإذا فعلت ذلك ، إن كان خيرا زادك المولى طيبة وسرورا ولذة ؛ وإن كان شرا حفظك فى طاعته فيه ، وأزال عنك الملامة ، وأفقدك فيه حتى يتجاوز عنك ، ويرحل عند انقضاء أجله ، كما ينقضى الليل فيسفر عن النهار ، والبرد فى الشتاء فيسفر عن الصيف ، ذلك أنموذج عندك ، فاعتبر بهم ، ثم ذنوب وآثام وإجرام وتلويثات بأنواع المعاصى والخطيئات ولا يصلح لمجالسة الكريم إلا الطاهر عن أنجاس الذنوب والزلات ، ولا يقبل على سدته إلا طيبا من درن الدعاوى والوهوسات ، كما لا يصلح لمجالسة الملوك إلا الطاهر من الأنجاس وأنواع النتن والأوساخ ، فالبلايا مكفرات مطهرات قال النبى صلى الله عليه وسلم « حمى يوم كفارة سنة » صدق صلى الله عليه وسلم .

المقالة التاسعة عشرة

فى الأمر بوفاء الوعد والنهى عن خلفه

قال رضى الله عنه : إذا كنت ضعيف الإيمان واليقين ووعدت بوعد وفّ بوعدك ، ولا تخلف كيلا يزول إيمانك ويذهب يقينك ، وإذا قوى ذلك فى قلبك وتمكنت خوطبت بقوله (إنك اليوم لدينا مكين أمين) وتكرر هذا الخطاب لك حالا بعد حال فكنت من الخواص بل من خواص الخواص ولم يبق لك إرادة و لا مطلب ، ولا عمل تعجب به ولا قربة تراها ، ولامنزلة تلمحها ، فتسمو همتك إليها ، فصرت كالإناء المنثلم الذى لايثبت فيه مائع ، فلا يثبت فيك إرادة ولا خلق ولا همة إلى شيء من الأشياء دنيا وأخرى ، وطهرت مما سوى الله تعالى ، وأعطيت رضاك عن الله عز وجل ، ووعدت برضوانه عز وجل عنك ؛ ولذذت ونعمت بأفعال الله عز وجل أجمع ، فحينئذ توعد بوعد ، فإذا اطمأننت إليه ووجدت فيه أمارة إرادة مانقلت عن ذلك الوعد إلى ماهو أعلى منه ، وصرفت

إلى أشرف منه ، وعوضت عن الأول بالغنى عنه ، وفتحت لك أبواب المعارف والعلوم وأطلعت على غوامض الأمور وحقائق الحكمة والمصالح المدفونة فى الانتقال من الأول إلى ما يليه ويزاد حينئذ فى مكانتك فى حفظ الحال ثم المقام ، وفى أمانتك فى حفظ الأسرار وشرح الصدور وتنوير القلب وفصاحة اللسان والحكمة البالغة فى إلقاء المحبة عليك ، فجعلت محبوب الخليقة أجمع الثقلين وما سواهما دنيا وأخرى . إذا صرت محبوب الحق عز وجل ، والخلق تابع للحق جل وعلا ، ومحبتهم مندرجة فى محبته ، كما أن بغضهم يندرج فى بغضه عز وجل . فإذا بلغت هذا المقام الذى ليس لك فيه إرادة شىء البتة جعلت لك إرادة شىء من الأشياء ، فإذا تحققت إرادتك لذلك الشىء أزيل الشىء وأعدم ، وصرفت عنه فلم تعطه فى الدنيا ، وعوّضت عنه فى الأخرى بما يزيدك قربة وزلفى إلى العلى الأعلى ، وما تقرّ به عيناك فى الفردوس الأعلى وجنة المأوى ، وإن كنت لم تطلب ذلك وتأمله وترجوه وأنت فى دار الدنيا التى هى دار الفناء والتكاليف والعناء ، بل رجاؤك وأنت فيها وجه الذى خلق وبرأ ومنع وأعطى ، وبسط الأرض ورفع السماء إذ ذاك هو المراد

والمطلوب والمنى ، وربما عوضت عن ذلك بما هو أدنى منه أومثله فى الدنيا بعد انكسار قلبك وبصرك ، حينئذ يصدك عن ذلك المطلوب والمراد ، وتحقيق العوض فى الأخرى على ماذكرنا وبينا ، والله سبحانه أعلم .

المقالة العشرون

فى قوله صلى الله عليه وسلم « دع مايريبك إلى مالايريبك »

قال رضى الله عنه : دع مايريبك إذا اجتمع مع مالايريبك فخذ بالعزيمة الذى لايشوبها ريب ولاشك ، ودع مايريبك ، فأما إذا تجرد المريب المشوب الذى لم يصف عن حز القلب وحكه فتوقف فيه وانظر الأمر فيه ، فإن أمرت بتناوله فدونك وإن أمرت بالكف عنه ومنعت فكف ، فليكن ذلك عندك كأنه لم يكن ولم يوجد ، ارجع إلى الباب وابتغ عند ربك الرزق ، وإن ضعفت عن الصبر أو الموافقة أو الرضا أو الفنا فهو عز وجل لايحتاج أن يذكر فليس بغافل عنك وعن غيرك ، وهو عز وجل يطعم الكفار والمنافقين والمدبرين عنه فكيف

ينساك أيها المؤمن الموحد المقبل على طاعته والقائم بأمره فى آناء الليل وأطراف النهار ؟.

(وجه آخر) دع مافى أيدى الخلق فلا تطلبه ولا تعلق قلبك به ، ولا ترجو الخلق ولا تخافهم ، وخذ من فضل الله عز وجل وهو مالا يريبك ، وليكن لك مسئول واحد ومعط واحد ومرجو واحد ومخوف واحد وموجود واحد وهمة واحدة وهو ربك عز وجل ، الذى نواصى الملوك بيده وقلوب الخلق بيده التى هى أمراء الأجساد ، وأموال الخلق له عز وجل ، وهم وكلاؤه وأمناؤه ، وحركة أيديهم بالعطاء لك بإذنه عز وجل وأمره وتحريكه . وكفها عن عطائك كذلك . قال عز من قائل (واسألوا الله من فضله) وقال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون) وقال سبحانه (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعـــوة الداع إذا دعان) وقال تعالى (ادعونى أستجب لكم) وقال تعالى (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقال تعالى (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)

المقالة الحادية والعشرون

فى مكالمة إبليس عليه اللعنة

قال رضى الله عنه : رأيت إبليس اللعين فى المنام وأنا فى جمع كثير فهممت بقتله ، فقال لى لعنه الله لم تقتلنى وما ذنبى ؟ إن جرى القدر بالشر فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه ، وإن جرى بالخير فلا أقدر أغيره إلى شر وأنقله إليه ، فأىّ شىء بيدى ؟ وكانت صورته على صورة الخنائى لين الكلام مشوه الوجه طاقات شعر فى ذقنه حقير الصورة دميم الخلقة ، ثم تبسم فى وجهى تبسم خجل ووجل وذلك فى ليلة الأحد ثانى عشر ذى الحجة من سنة ستة عشر وخمسمائة ، والله الهادى لكل خير .

المقالة الثانية والعشرون

فى ابتلاء المؤمن على قدر إيمانه

قال رضى الله عنه وأرضاه : لايزال الله يبتلى عبده المؤمن على قدر إيمانه ، فمن عظم إيمانه وكثر وتزايد عظم بلاؤه ، الرسول بلاؤه أعظم من بلاء النبى ، لأن إيمانه أعظم ، والنبى بلاؤه أعظم من بلاء البدل وبلاء البدل أعظم من بلاء الولى ، كل واحد على قدر إيمانه ويقينه : وأصل ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « إنا معشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل » فيديم الله تعالى البلاء لهؤلاء السادات الكرام حتى يكونوا أبدا فى الحضرة ولا يغفلوا عن اليقظة ، لأنه يحبهم ، فهم أهل المحبة يحبون الحق ، والمحب أبدا لا يختار بعد محبوبه ، فالبلاء خطاف لقلوبهم وقيد لنفوسهم ، يمنعهم عن الميل إلى غير مطلوبهم والسكون والركون إلى غير خالقهم ، فإذا دام ذلك فى حقهم

ذابت أهويتهم وانكسرت نفوسهم وتميز الحق من الباطل فتزوى الشهوات والإرادات ، والميل إلى اللذات والراحات دنيا وأخرى بأجمعها إلى مايلى النفس ويصير السكون إلى وعد الحق عز وجل ، والرضا بقضائه ، والقناعة بعطائه ، والصبر على بلائه ، والأمن من شر خلقه إلى مايلى القلب ، فتقوى شوكة القلب ، فتصير الولاية على الجوارح إليه ؛ لأن البلاء يقوّى القلب واليقين ، ويحقق الإيمان والصبر ، ويضعف النفس والهوى ؛ لأنه كلما وصل الألم ووجد من المؤمن الصبر والرضا والتسليم لفعل الرب عز وجل ، رضى الرب تعالى عنه وشكره ، فجاءه المدد والزيادة والتوفيق . قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وإذا تحركت النفس بطلب شهوة من شهواتها ولذة من لذاتها من القلب فأجابها القلب إلى مطلوبها ذلك من غير أمر من الله تعالى وإذن منه حصلت بذلك غفلة عن الحق تعالى وشرك ومعصية ، فعمهما الله تعالى بالخذلان والبلايا وتسليط الخلق ، والأوجاع والأمراض ، والإيذاء والتشويش ، فينال كل واحد من القلب والنفس حظ وإن لم يجب القلب والنفس إلى مطلوبها حتى يأتيه الإذن من قبل

الحق عز وجل بإلهام فى حق الأولياء ، ووحى صريح فى حق المرسلين والأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، فعمل ذلك عطاء ومنعا ، وعمهما الله بالرحمة والبركة ، والعافية والرضا ، والنور والمعرفة ، والقرب والغنى والسلامة من الآفات ، والنصر على الأعداء ، فاعلم ذلك واحفظه ، واحذر البلاء جدا فى المسارعة إلى إجابة النفس والهوى ، بل توقف وترقب فى ذلك إذن المولى جل جلاله ، فتسلم فى الدنيا والعقبى إن شاء الله تعالى :

المقالة الثالثة والعشرون

فى الرضاء بما قسم الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : ارض بالدون والزمه جدا حتى يبلغ الكتاب أجله فتنقل إلى الأعلى والأنفس ، وبه تهنأ وفيه تبقى وتحفظ بلا عناء دنيا وأخرى ولا تبعة ولا عدوى ، ثم تترقى من ذلك إلى ماهو أقر عينا منه وأهنأ .

واعلم أن القسم لايفوتك بترك الطلب ، وما ليس بقسم لاتناله بحرصك فى الطلب والجد والاجتهاد ، فاصبر والزم الحال وارض به ، لاتأخذ بك حتى تؤمر ، ولاتعط بك حتى تؤمر ولاتتحرك بك ولاتسكن بك ، فتبتلى بك وبمن هو شر منك من الخلق ، لأنك بذلك تظلم والظالم لايغفل عنه . قال الله عز وجل (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا) لأنك فى دار ملك عظيم أمره شديد وشوكته ، كثير جنده نافذة مشيئته قاهر حكمه باق ملكه دائم سلطانه دقيق علمه بالغة حكمته عدل قضاؤه (لايعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء) لايجاوزه ظلم ظالم فأنت أعظمهم ظلما وأكبرهم جريمة ، لأنك أشركت بتصرفك فيك وفى خلقه عز وجل بهواك . قال الله تعالى (لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) وقال تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) اتق الشرك جدا ولاتقربه ، واجتنبه فى حركاتك وسكناتك وليلك ونهارك ، فى خلوتك وجلوتك . واحذر المعصية فى الجملة فى الجوارح والقلب واترك الإثم ماظهر منه ومابطن . لاتهرب منه عز وجل فيدركك ، ولاتنازعه فى قضائه فيقصمك ، وتتهمه فى حكمه

فيخذلك ، ولاتغفل عنه فينبهك ويبتليك ، ولاتحدث فى داره حادثة فيهلكك ، ولا تقل فى دينه بهواك فيرديك ويظلم قلبك ، ويسلب إيمانك ومعرفتك ، ويسلط عليك شيطانك ونفسك وهواك وشهواتك وأهلك وجيرانك وأصحابك وأخلاءك وجميع خلقه حتى عقارب دارك وحياتها وجنها وبقية هوامها فينغص عيشك فى الدنيا ويطيل عذابك فى العقبى :

المقالة الرابعة والعشرون

فى الحث على ملازمة باب الله تعالى

قال رضى عنه وأرضاه : احذر معصية الله عز وجل جدا ، والزم بابه حقا ، وابذل طوقك وجهدك فى طاعته معتذرا متضرعا مفتقرا خاضعا ، متخشعا مطرقا ، غير ناظر إلى خلقه ولاتابع لهواك ، ولا طالب للأعواض دنيا وأخرى ، ولا ارتقاء إلى المنازل العالية والمقامات الشريفة ، واقطع بأنك عبده والعهد وما ملك لمولاه ، لايستحق عليه شيئا من الأشياء :

أحسن الأدب ولا تتهم مولاك ، فكل شيء عنده بمقدار ، لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم ، يأتيك ماقدر لك عند وقته وأجله إن شئت أو أبيت ، لاتشره على ماسيكون لك ، ولا تطلب وتلهف على ما هو لغيرك ، فما ليس هو عندك لايخلو إما أن يكون لك أو لغيرك ، فإن كان لك فهو إليك صائر وأنت إليه مقاد ومسير ، فاللقاء عن قريب حاصل ، وماليس لك فأنت عنه مصروف وهو عنك مول فأنى لكما التلاق فاشتغل بإحسان الأدب فيما أنت بصدده من طاعة مولاك عز وجل فى وقتك الحاضر ، ولا ترفع رأسك ولا تمل عنقك إلى ماسواه : قال الله تعالى (ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) فقد نهاك الله عز وجل عن لا التفات إلى غير ماأقامك فيه ورزقك من طاعته وأعطاك من قسمه ورزقه وفضله ، ونبهك أن ماسوى ذلك فتنة افتتنهم به ، ورضاك بقسمك خير لك وأبقى وأبرك وأحرى وأولى ، فليكن هذا دأبك ومتقلبك ومثواك ، وشعارك ودثارك ومرادك ومرامك ، وشهوتك ومناك ، تنل به كل المرام ، وتصل به إلى كل مقام وترقى به إلى كل خير ونعيم وطريف

وسرور ونفيس . قال الله تعالى (فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ولاعمل بعد العبادات الخمس وترك الذنوب ، ولاأجمع ولا أعظم ولاأشرف ولا أحب إلى الله عز وجل ، ولاأرضى عنده مما ذكرنا لك ، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى بمنه .

المقالة الخامسة والعشرون

فى شجرة الإيمان

قال رضى الله عنه وأرضاه : لاتقولن يافقير اليد ، يامولى عنه الدنيـا وأبناؤها ، ياخامل الذكر بين ملوك الدنيا وأربابها ، ياجائع ياناىع ياعريان الجسد ياظمآن الكبد يامشتتا فى كل زاوية من الأرض من مسجد وبقاع خراب ، ومردودا من كل باب ، ومدفوعا عن كل مراد ، ومنكسرا ومزدحما فى قلبه كل حاجة ومرام . إن الله تعالى أفقرنى وذوى عنى الدنيا وغرنى ، وتركنى وقلانى وفرقنى ولم يجمعنى وأهاننى

ولم يعطنى من الدنيا كفاية ، وأخملنى ولم يرفع ذكرى بين الخليقة وإخوانى ، وأسبل على غيرى نعمة منه سابغة يتقلب فيها فى ليله ونهاره ، وفضله علىّ وعلى أهل ديارى وكلانا مسلمان مؤمنان ويجمعنا أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام ، أما أنت فقد فعل الله ذلك بك ، لأن طينتك حرة وندى رحمة الله متدارك عليك من الصبر والرضا واليقين والموافقة والعلم وأنوار الإيمان والتوحيد متراكم لديك ، فشجرة إيمانك وغرسها وبذرها ثابتة مكينة مورقة مثمرة متزايدة متشعبة غضة مظللة متفرعة ، فهى كل يوم فى زيادة ونمو ، فلا حاجة بها إلى سباطة وعلف لتنمى بها وتربى ، وقد فرغ الله عز وجل من أمرك على ذلك ، وأعطاك فى الآخرة دار البقاء وخولك فيها ، وأجزل عطاءك فى العقبى مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) أى ما عملوا فى الدنيا من أداء الأوامر ، والصبر على ترك المناهى ، والتسليم والتفويض إليه فى المقدور ، والموافقة له فى جميع الأمور . وأما الغير الذى أعطاه الله عز وجل الدنيا وخوله ونعمه بها وأسبغ عليه فضله

فعل به ذلك ، لأن محل إيمانه أرض سبخة وصخر لايكاد يثبت فيها الماء وتنبت فيها الأشجار ، ويتربى فيها الزرع والثمار فصب عليها أنواع سباطه وغيرها مما يربى به النبات والأشجار ، وهى الدنيا وحطامها ليحفظ بها ماأنبت فيها من شجرة الإيمان وغرس الأعمال ، فلو قطع ذلك عنها لجف النبات والأشجار ، وانقطعت الثمار ، فخربت الديار ، وهو عز وجل مريد عمارتها ، فشجرة إيمان الغنى ضعيفة المنبت وخال عما هو مشحون به منبت شجرة إيمانك يافقير ، فقوتها وبقاؤها بما ترى عنده من الدنيا وأنواع النعيم ، فلو قطع ذلك عنه مع ضعف الشجرة جفت ، فكان كفرا وجحودا وإلحاقا بالمنافقين والمرتدين والكفار ، اللهم إلا أن يبعث الله عز وجل إلى الغنى عساكر الصبر والرضا واليقين والتوفيق والعلم وأنواع المعارف فيتقوى الإيمان بها فحينئذ لايبالى بانقطاع الغنى والنعيم ، والله الهادى الموفق .

المقالة السادسة والعشرون

فى النهى عن كشف البرقع عن الوجه

قال رضى الله عنه وأرضاه : لاتكشف البرقع والقناع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك فى جميع الأحوال ويزول هواك، ثم تزول إرادتك ومناك ، فتفنى عن الأكوان دنيا وأخرى ، فتصير كإناء منثلم لايبقى فيك غير إرادة ربك عز وجل فتمتلىء به عز وجل وبحكمه ، إذا خرج الزور دخل النور ، فلا يكون لغير ربك فى قلبك مكان ولا مدخل وجعلت بواب قلبك ، وأعطيت سيف التوحيد والعظمة والجبروت ، فكل من رأيته دنا من ساحة صدرك إلى باب قلبك ندرت رأسه من كاهله فلا يكون لنفسك وهواك إرادتك ومناك فى دنياك وأخراك عندك رأس امتثال ولا كلمة مسموعة ، لارأى متبع إلا اتباع أمر الرب عز وجل ، والوقوف معه والرضا بقضائه وقدره ، بل الفناء فى قضائه وقدره ، فتكون عبد الرب عز وجل وأمره لا عبد الخلق وآرائهم

فإذا استمر الأمر فيك كذلك ، ضربت حول قلبك سرادقات الغيرة وخنادق العظمة وسلطان الجبروت؛ وحف بجنود الحقيقة والتوحيد ، ويقام دون ذلك حراس من الحق عز وجل ، كيلا يخلص الخلق إلى تطلب القلب من الشيطان والنفس والهوى ، والإرادات والأمانى الباطلة ، والدعاوى الكاذبة الناشئة من الطباع والنفس الآمرة بالسوء ، والضلالات الناشئة من الهوى فحينئذ إن كان فى القدر مجىء الخلق وتواترهم إليك وتتابعهم وتطابقهم عليك، ليصيبوا من الأنوار اللائحة والعلامات المنير والحكم البالغة؛ ويروا من الكرامات الظاهرة وخوارق العادة المستمرة، ويزدادوا بذلك من القربات والطاعات والمجاهدات والمكابدات فى عبادة ربهم عز وجل ، حفظت عنهم أجمعين ، وعن ميل النفس إلى هواها ، وعجبها ومباهاتها ، وتعاظمها بالتكبر بهم وبقبولهم لك وإقبال وجوههم إليك ، وكذلك إن قدر مجىء زوجة حسناء جميلة بكفايتها وسائر مؤنتها حفظت من شرها وحمل أثقالها وأتباعها وأهلها، وصارت عندك موهبة مكفاة مهناة منقاة مصفاة من الغش والخبث والغل والحقد والغضب والخيانة فى الغيب، فتكون لك مسخرة، وهى وأهلها

محمولة عنك مؤنتها ، مدفوعة عنك أذيتها ، وإن قدر منها ولد كان صالحا ذرية طيبة قرة عين . قال الله تعالى (وأصلحنا له زوجه) وقال تعالى (هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما) وقال تعالى (واجعله رب رضيا) فتكون هذه الدعوات التى فى هذه الآيات معمولا بها مستجابة فى حقك إن دعوت بها أو لم تدع ، إذ هى فى محلها وأهلها ، وأولى من يعامل بهذه النعمة ويقابل بها من كان أهلا لهذه المنزلة ، وأقيم فى هذا المقام وقدر له من الفضل والقرب هذا المقدار ، وكذلك إن قدر مجىء شىء من الدنيا وإقبالها لا يضر إذ ذاك ، فما هو قسمك منها فلا بد من تناوله وتصفيته لك بفعل الله عز وجل ، وورود الأمر بتناوله وأنت ممتثل للأمر مثاب على تناوله ، كما تثاب على فعل صلوات الفرض وصيام الفرض ، وتؤمر فيما ليس بقسمك منها بصرفه إلى أربابه من الأصحاب والجيران والإخوان المستحقين الفقراء منهم وأصحاب الأقسام على مايقتضى الحال ، فالأحوال تكشفها وتميزها . ليس الخبر كالمعاينة ، فحينئذ تكون من أمرك على بيضاء نقية لاغبار عليها ولا تلبيس ولا تخليط ولا شك ولا ارتياب ، فالصبر الصبر ، الرضا الرضا ،

حفظ الحال حفظ الحال ، الخمول الخمول ، الخمود الخمود السكوت السكوت ، الصموت الصموت ، الحذر الحذر ، النجا النجا ، الوحا الوحا ، الله الله ثم الله ، الإطراق الإطراق الإغماض الإغماض الحياء الحياء إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، فيؤخذ بيدك فتقدم وينزع عنك ماعليك ثم تغوص فى بحار الفضائل والمنن والرحمة ثم تخرج منها فتخلع عليك خلع الأنوار والأسرار والعلوم والغرائب المدنية ، ثم تقرب وتحدث فيه بإعلام وإلهام وتكلم وتعطى وتغنى وتشجع وترفع ، وتخاطب بـ (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فحينئذ اعتبر حالة يوسف الصديق عليه السلام حين خوطب بهذا الخطاب على لسان ملك مصر وعظيمها وفرعونها ، كان لسان الملك قائلا معبرا بهذا الخطاب والمخاطب هو الله عز وجل على لسان المعرفة ، سلم إليه الممالك الظاهر وهو ملك مصر ، وملك النفس وملك المعرفة والعلم والقربة والخصوصية وعلو المنزلة عنده عز وجل. قال تعالى فى ملك الملك (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أى فى أرض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع أجر المحسنين) قال تعالى فى ملك النفس (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من

عبادنا المخلصين) وقال تعالى فى ملك المعرفة والعلم (ذالكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) فإذا خوطبت بهذا الخطاب يا أيها الصديق الأكبر ، أعطيت الحظ الأوفر ، من العلم الأعظم ، ومنحت وهنيت بالتوفيق وللمنن والقدرة والولاية العامة ، والأمر النافذ على النفس وغيرها من الأشياء والتكوين ، بإذن إله الأشياء فى الدنيا قبل الآخرة . وأما فى الأخرى فى دار السلام والجنة العليا ، فالنظر إلى وجه المولى الكريم زيادة ومنة ، وهو المنى الذى لا غاية له ولا منتهى ، والله الموفق لحقائق ذلك ، إنه رءوف رحيم .

المقالة السابعة والعشرون

فى أن الخير والشر ثمرتان

قال رضى الله عنه وأرضاه : اجعل الخير والشر ثمرتين من غصنين من شجرة واحدة ، أحد الغصنين يثمر حلوا والآخر مرا ، فاترك البلاد والأقاليم ونواحى الأرض التى يحمل

إليها هذه الثمار المأخوذة من هذه الشجرة ، وابعد منها ومن أهلها واقترب من الشجرة وكن سائسها وخادمها القائم عندها ، واعرف الغصنين والثمرتين والجانبين ، فكن إلى جانب الغصن المثمر حلوا ، فحينئذ يكون غذاؤك وقوتك منها ، واجتنب أن تقدم إلى جانب الغصن الآخر فتأكل من ثمرته فتهلك من مرارتها ؛ فإذا دمت على هذا كنت فى دعة وأمن وراحة وسلامة من الآفات كلها ، إذ الآفات وأنواع البلايا تتولد من تلك الثمرة المرة ، وإذا غبت عن تلك الشجرة وهمت فى الآفاق وقدم بين يديك من تلك الثمرتين وهى مخلطة غير متميزة الحلوة من المرة هنا فتناولت منها ، فربما وقعت يدك على المرة فأدنيتها من فيك فأكلت منها جزءا ومضغته ، فسرت المرة إلى أعماق لهواتك وباطن حلقك ودماغك وخياشيمك ، فعملت فيك وسرت فى عروقك وأجزاء جسدك فهلكت بها ، ولفظك الباقى من فيك وغسل أثره لا ينفع ولا يدفع عنك ماقد سرى فى جسدك ولا ينفعك ، وإن أكلت ابتداء من الثمرة الحلوة وسرت حلاوتها فى أجزاء جسدك وانتفعت بها وسررت فلا يكفيك ذلك ، فلا بد تتناول غيرها ثانيا ، فلا تأمن أن تكون الثانية من المرة

فيحل بك ماذكرته لك ، فلا خير فى البعد عن الشجرة والجهل بثمرتها والسلامة فى قربها والقيام معها ، فالخير والشر بفعل الله عزوجل ، والله هو فاعلهما ومجريهما. قال الله عزوجل (والله خلقكم وما تعملون) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الله خلق الجازر وجزوره » وأعمال العباد خلق الله عز وجل وكسبهم . قال تعالى (ادخلوا الجنة بماكنتم تعملون) سبحانه ما أكرمه وأرحمه أضاف العمل اليهم وأنهم استحقوا الدخول إلى الجنة بعملهم ، وهو بتوفيقه ورحمته لهم فى الدنيا والآخرة .

قال صلى الله عليه وسلم «لايدخل الجنة أحد بعمله ، فقيل له ولا أنت يارسول الله ؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته ووضع يده على رأسه» مروى ذلك فى حديث عائشة رضى الله عنها ، فإذا كنت طائعا لله عز وجل ممتثلا لأمره منتهيا لنهيه مسلما له فى قدره ؛ حماك عن شره وتفضل عليك بخيره وحماك عن الأسواء جميعها دينا ودنيا . أما دنيا . فقوله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) وأما دينا فقوله عز وجل (مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما) فمن شاكرا يفعل البلاء عنده وهو إلى العافية

أقرب من البلاء ، لأنه فى محل المزيد أيضا . لأنه شاكر : قال الله عز وجل (لئن شكرتم لأزيدنكم) فإيمانك يطفىء لهب النار فى الآخرة التى هى عقوبة كل عاص، فكيف لا يطفىء نار البلايا فى الدنيا؟ اللهم إلا أن يكون العبد من المجذوبين المختارين للولاية والاصطفاء والاجتباء ، فلا بد من البلاء ليصفى به من خبث الهوى والميل إلى الطباع ، والركون إلى شهوات النفس ولذاتها ، والطمأنينة إلى الخلق والرضا بقربهم ، والسكون إليهم والثبوت معهم والفرح بهم ، فيبتلى حتى يذوب جميع ذلك ، ويتنظف القلب بخروج الكل ، ويبقى توحيد الرب عز وجل ومعرفته وموارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم وأنوار القرب ، لأنه بيت لا يسعه اثنان ، قال الله عز وجل (ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) وقال تعالى (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) فأخرجوا الأعزة عن طيب المنازل ونعيم العيش، وكانت الولاية على القلب للشيطان والهوى والنفس والجوارح متحركة بأمرهم من أنواع المعاصى والأباطيل والترهات فزالت تلك الولاية فسكنت الجوارح وفرغت دار الملك التى هى القلب وتنظفت الساحة التى هى الصدر . فأما

القلب فصار مسكينا للتوحيد والمعرفة والعلم . وأما الساحة فهبط الموارد والعجائب من الغيب ؛ كل ذلك نتيجة البلايا وثمرتها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أعرفكم بالله وأشدكم منه خوفا » فكل من قرب من الملك اشتد خطره وحذره ، لأنه فى مرأى من الملك لايخفى عليه تصاريفه وحركاته .

فإن قلت : فالخليقة عند الله عز وجل بأجمعهم كشخص واحد لايخفى عليه منهم شىء ، فأى فائدة لهذا الكلام ؟

فنقول لك : لما علت منزلته وشرفت رتبته عظم خطره ، لأنه وجب عليه شكر ماأولاه من جسيم نعمه وفضله فأدنى الالتفات عن خدمته تقصير فى شكره وذلك نقصان فى طاعته ؛ قال الله عز وجل (يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) قال ذلك لهن لتمام نعمه عز وجل عليهن باتصالهن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فكيف من كان مواصلا بالله عز وجل وقربه ، تعالى الله علوا كبيرا عن التشبيه بخلقه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) والله الهادى .

المقالة الثامنة والعشرون

فى تفصيل أحوال المريد

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : أتريد الراحة والسرور والدعة والحبور ، والأمن والسكون والنعيم والدلال وأنت بعد فى كير السبك والتذويب وتمويت النفس ومجانبة الهوى وإزالة المرادات والأعواض دنيا وأخرى وقد بقيت فيك بقية من ذلك ظاهرة لائحة ؟ على رسلك يامستعجل مهلا مهلا ، يامترقب الباب مسدود إلى ذلك ، وقد بقيت عليك منه وفيك ذرة ومنه والمكاتب عبد مابقى عليه درهم ، أنت مصدود عن ذلك مابقى عليك من الدنيا مقدار مص نواة ، والدنيا هواك ومرادك ، ورؤيتك بشىء من الأشياء أوطلبك بشىء من الأشياء وتشوق نفسك إلى شىء من الأعواض دنيا وأخرى ؛ فمادام فيك شىء من ذلك فأنت فى باب الإفناء . فاسكن حتى يحصل الفناء على التمام والكمال ، فتخرج من الكبر وتكمل صياغتك وتجلى وتكسى وتطيب وتبخر ، ثم ترفع إلى الملك الأكبر فتخاطب بـ (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فتؤانس وتلاطف ، وتطعم من

الفضل ومنه تسق وتقرب وتدنى وتطلع على الأسرار وهى عنك لاتخفى فتغنى بما تعطى من ذلك عن جميع الأشياء . ألا ترى إلى قراضة الذاهب متفرقة مبتذلة متداولة غادية رائحة فى أيدى العطارين والبقالين والقصابين والدباغين والنقاطين والكناسين والكفافين أصحاب الصنائع النفيسة والرذيلة الدنية الخبيثة ، ثم تجمع فتجعل فى كير الصائغ فتذوب هناك بإشعال النار عليها ، ثم تخرج منه فتطرق وترقق وتطلع وتصاغ فتجعل حليا ، ثم تجلى وتطيب فتترك فى خير المواضع والأمكنة من وراء الأغلاق فى الخزائن والصناديق والأحقاق وتحلى بها العروس وتزين وتكرم ، وقد تكون العروس للملك الأعظم فتنقل القراضة من هذه الأشياء إلى قرب الملك ومجلسه بعد السبك والدق ، هكذا أنت يامؤمن إذا صبرت على مجارى الأقدار فيك ورضيت بالقضاء فى جميع الأحوال قربت إلى مولاك عز وجل فى الدنيا ، فتنعم بالمعرفة والعلوم والأسرار ، وتسكن فى الآخرة دار السلام مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين فى جوار الله وداره وقربه عز وجل ، فاصبر ولا تستعجل ، وارض بالقضاء ولا تتهم ، فسينالك برد عفو الله ولطفه وكرمه بمنه تعالى :

المقالة التاسعة والعشرون

في قوله صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا »

قال رضي الله عنه وأرضاه : يؤمن العبد بالله ويسلم الأمور كلها إليه عز وجل ، ويعتقد تسهيل الرزق منه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، ويؤمن بقوله عز وجل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ويقول ذلك ويؤمن به وهو في حال العافية والفناء ثم يبتليه الله عز وجل بالبلاء والفقر فيأخذ في السؤال والتضرع فلا يكشفهما عنه ، فحينئذ يتحقق قوله صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفرا » فمن تلطف الله به كشف عنه ما به فأدركه بالعافية والغنى ويوفقه للشكر والحمد والثناء ويديم له ذلك إلى اللقاء ومن يرد الله فتنته يديم بلاءه وفتنته وفقره فيقطع عنه مدد إيمانه فيكفر بالاعتراض والتهمة له عز وجل والشك في وعده فيموت كافرا بالله عز وجل جاحدا لآياته ومسخطا على ربه ، وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل جمع الله

له بين الدنيا وعذاب الآخرة » نعوذ بالله من ذلك وهو الفقر المنسى الذى استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم ، والرجل الثانى هو الذى أراد الله عز وجل اصطفاءه واجتباءه وجعله من خواصه وأحبابه وأخلائه وورث أنبيائه وسيد أوليائه ، ومن عظماء عباده وعلمائهم وحكمائهم وشفعائهم وشيخهم ومتبوعهم ومعلمهم وهاديهم إلى مولاهم ، ومرشدهم إلى سبيل الهدى واجتناب سبل الردى ، فأرسل إليه جبال الصبر وبحار الرضى والموافقة والغنى فى قضائه وفعله ، ثم يدركه بجزيل العطاء ويدعو الله فى آناء الليل وأطراف النهار فى الجلوة والخلوة فى الظاهر مرة وفى الباطن أخرى بأنواع اللطف وفنون الجذبات فيتصل له ذلك إلى حين اللقاء ، والله الهادى .

المقالة الثلاثون فى النهى

عن قول الرجل أىّ شىء أعمل وما الحيلة ؟

قال رضى الله عنه وأرضاه : وأكثر ما تقول إيش أعمل وما الحيلة ، فيقال لك قف مكانك ولا تجاوز حدك حتى يأتيك الفرج

ممن أمرك بالقيام فيما أنت فيه . قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) أمرك بالصبر يامؤمن ، ثم بالمصابرة والمرابطة والمحافظة والملازمة ثم حذرك تركه فقال (واتقوا الله) فى ترك ذلك : أى لاتتركوا الصبر فإن الخير والسلامة فيه ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد » وقيل : كل شىء ثوابه بمقدار إلا ثواب الصبر فإنه جزاف بغير مقدار ، لقوله تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) فإذا اتقيت الله عز وجل حفظك للصبر ومحافظة الحدود وأنجز لك ماوعدك فى كتابه وهو قوله عز وجل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) وكنت بصبرك حتى يأتيك الفرج من المتوكلين وقد وعدك الله عز وجل بالكفاية فقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وكنت مَع صبرك وتوكلك من المحسنين ، وقد وعدك بالجزاء فقال عز وجل (وكذلك نجزى المحسنين) ويحبك الله مع ذلك ، لأنه قال (إن الله يحب المحسنين) فالصبر رأس كل خير وسلامة دنيا وأخرى ، ومنه يترقى المؤمن إلى حالة الرضى والموافقة ، ثم الفناء فى أفعال الله عز وجل حالة البدلية

والغيبية ، فاحذر أن تتركه فيخذلك فى الدنيا والآخرة ويفوتك خيرهما ، نعوذ بالله من ذلك .

المقالة الحادية والثلاثون

فى البغض فى الله

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا وجدت بقلبك بغض شخص أو حبه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة ، فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك الله عز وجل ورسوله ، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بهواك ظالما له ببغضك إياه وعاص لله عز وجل ولرسوله مخالف لهما ، فتب إلى الله عز وجل من بغضك واسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده ، لتكون موافقا له عز وجل ، وكذلك افعل بمن تحبه يعنى اعرض أعماله على الكتاب والسنة ، فإن كانت محبوبة فيهما فاحببه ، وإن كانت مبغوضة فابغضه كيلا تحبه بهواك وقد أمرت بمخالفة هواك . قال عز وجل (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) :

المقالة الثانية والثلاثون

فى عدم المشاركة فى محبة الحق

قال رضى الله عنه وأرضاه : ماأكثر ماتقول كل من أحبه لاتدوم محبتى إياه فيحال بيننا إما بالغيبة أو بالموت أو بالعداوة وأنواع المال بالتلف والفوات من اليد ، فيقال لك : أما تعلم يامحبوب أنه تجمعت فيه إرادة كسرها فعل الله وغيرته ، فضربت حوله سرادقات العظمة والجبروت والهيبة ، وأحضرت من دونها خنادق الكبرياء والسطوة ، فلم يخلص إلى القلب إرادة شىء من الأشياء ، فحينئذ لايضر القلب الأسباب من المال والولد والأهل والأصحاب والكرامات والحكم والعلم والعبادات ، فإن جميع ذلك يكون خارج القلب فلا يغار الله عز وجل بل يكون جميع ذلك كرامة من الله لعبده ولطفاً به ونعمة ورزقا ومنفعة للواردين عليه ، فيكرمون به ويرحمون ويحفظون لكرامته على الله عز وجل ؛ فيكون خفيرا لهم وكنفا وحرزا وشفيعا دنيا وأخرى :

المقالة الثالثة والثلاثون

تقسيم الرجال إلى أربعة أقسام

قال رضى الله عنه وأرضاه : الناس أربعة رجال :

(رجل) لا لسان له ولاقلب وهو العاصى الغر الغبى لا يعبأ الله به ، لا خير فيه ، وهو وأمثاله حثالة لا وزن لهم إلى أن يعمهم الله عز وجل برحمته ، فيهدى قلوبهم للإيمان به ويحرك جوارحهم بالطاعة له عز وجل ، فاحذر أن تكون منهم ، ولا تكترث بهم ولا تقم فيهم فإنهم أهل العذاب الحق المعنى المنظور إليه المغار له وعليه . ألم تعلم أن الله عز وجل غيور ، خلقك له وتروم أن تكون لغيره ؟ أما سمعت قوله عز وجل (يحبهم ويحبونه) وقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أما سمعت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إذا أحب الله عبدا ابتلاه ؛ فإن صبر اقتناه : قيل : يارسول الله وما اقتناه ؟ قال : لم يذر له مالا ولا ولدا » وذلك لأنه إذا كان له مال وولد أحبهما فتنتقص وتجزى ، فتصير مشتركة بين الله عز وجل وبين غيره ، والله تعالى لايقبل الشريك ، وهو

غيور قاهر ، فوق كل شيء ، غالب لكل شيء ، فيهلك شريكه ويعدمه ليخلص قلب عبده له من غير شريك ، فيتحقق حينئذ قوله عز وجل (يحبهم ويحبونه) حتى إذا تنظف القلب من الشركاء والأنداد من الأهل والمال والولد واللذات والشهوات وطلب الولد والرياسات والكرامات والحالات والمنازل والمقامات والجنات والدرجات والقربات والزلفات فلا يبقى فى القلب إرادة ولا أمنية ، يصير كالإناء المنثلم الذى لا يثبت فيه مائع لأنه انكسر لفعل الله عز وجل كلها ، والغضب والسخط سكان النار وأهلها ، نعوذ بالله عز وجل منهم ، إلا أن تكون من العلماء بالله عز وجل ومن معلمى الخير وهداة الدين وقواده ودعاته ، فدونك فأتهم وادعهم إلى طاعة الله عز وجل ، وحذرهم معصيته فتكتب عند الله جهبذا ، فتعطى ثواب الرسل والأنبياء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه « لأن يهدى الله بهداك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس » .

(الرجل الثانى) رجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها ، يدعو الناس إلى الله وهو يفر منه عز وجل ،

يستقبح عيب غيره ويدوم هو على مثله فى نفسه ، يظهر للناس تنسكا ويبارز الله عز وجل بالعظائم من المعاصى ، إذا خلا كأنه ذئب عليه ثياب ، وهو الذى حذر منه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله « أخوف ماأخاف على أمتى من كل منافق عليم اللسان » وفى حديث آخر « أخوف ماأخاف على أمتى من علماء السوء » نعوذ بالله من هذا ، فابعد منه وهرول ؛ لئلا يختطفك بلذيذ لسانه فتحرقك نار معاصيه ، ويقتلك فتن باطنه وقلبه .

(والرجل الثالث) قلب بلا لسان ، وهو مؤمن ستره الله عز وجل من خلقه ، وأسبل عليه كنفه ، وبصره بعيوب نفسه ، ونوّر قلبه ، وعرّفه غوائل مخالطة الناس وشؤم الكلام والنطق ، وتيقن أن السلامة فى الصمت والانزواء والانفراد ، واسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم « من صمت نجا » واسمع قول بعض العلماء : العبادة عشرة أجزاء ، تسعة منها فى الصمت ، فهذا رجل ولى الله عز وجل ، فى ستر الله محفوظ ذو سلامة وعقل وافر ، جليس الرحمن منعم عليه ، فالخير كل الخير عنده ، فدونكه ومصاحبته ومخالطته وخدمته والتحبب إليه بقضاء حوائج تسنح له ومرافق يرتفق بها ،

فيحبك الله ويصطفيك ، ويدخلك فى زمرة أحبائه وعباده الصالحين ببركته إن شاء الله تعالى :

(والرجل الرابع) المدعو فى الملكوت بالعظيم كما جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم « من تعلم وعلم ، وعمل دعى فى الملكوت عظيما » وهو العالم بالله عز وجل وآياته ، استودع الله عز وجل قلبه غرائب علمه ، وأطلعه على أسرار طواها عن غيره ، وأصطفاه واجتباه وجذبه إليه ورقاه ، وإلى باب قربه هداه ، وشرح صدره لقبول تلك الأسرار والعلوم ، وجعله جهبذا وداعيا للعباد ونذيرا لهم وحجة فيهم ، هاديا مهديا شافعا مشفعا صادقا صديقا ، بدلا لرسله وأنبيائه عليهم صلواته وسلامه وتحياته وبركاته .

فهذه هى الغاية القصوى فى بنى آدم ، لا منزلة فوق منزلته إلا النبوة ، فعليك به واحذر أن تخالفه وتنافره وتجانبه وتعاديه وتترك القبول منه والرجوع إلى نصيحته وقوله ، فإن السلامة فيما يقول عنده ، والهلاك والضلال عند غيره إلا من يوفقه الله عز وجل ويمده بالسداد والرحمة :

فقد قسمت لك الناس ، فانظر لنفسك إن كنت ناظرا ، واحترز لها إن كنت محترزا لها شفيقا عليها ، هدانا الله وإياك لما يحبه ويرضاه .

المقالة الرابعة والثلاثون

فى النهى عن السخط على الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه :

ما أعظم تسخطك على ربك وتهمتك له عز وجل ، واعتراضك عليه وانتسابك له عز وجل بالظلم ، واستبطائك فى الرزق والغنى وكشف الكروب والبلوى ، أما تعلم أن لكل أجل كتاب ، ولكل زيادة بلية وكربة غاية منتهى ونفاد ، لايتقدم ذلك ولايتأخر ، أوقات البلايا لاتقلب فتصير عوافى ووقت البؤس لا ينقلب نعيمه ، وحالة الفقر لاتستحيل غنى :

أحسن الأدب والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عز وجل ، وتب عن تسخطك عليه وتهمتك له فى فعله ، فليس هناك استيفاء وانتقام من غير ذنب ، ولا عرض على

الطبع كما هو فى حق العبيد بعضهم فى بعض ، هو عز وجل منفرد بالأزل وسبق الأشياء ، خلقها وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وانقضاءها ، وهو عز وجل حكيم فى فعله متقن فى صنعه لاتناقض فى فعله ، لايفعل عبثا ولايخلق باطلا لعبا ، ولاتجوز عليه النقائص ولا اللوم فى أفعاله ، فانتظر الفرج حتى إن عجزت عن موافقته وعن الرضا والغنى فى فعله حتى يبلغ الكتاب أجله ، فتسفر الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الآجال ، كما ينقضى الشتاء فيسفر عن الصيف ، وينقضى الليل فيسفر عن النهار ، فإذا طلبت نور ضوء النهار ونوره بين العشاءين لم تعطه ، بل يزداد فى ظلمة الليل حتى إذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر وجاء النهار بضوئه طلبت ذلك وأردته وسكت عنه وكرهته ، فإن طلبت إعادة الليل حينئذ لم تجب دعوتك ولم تعطه لأنك طلبت الشىء فى غير حينه ووقته فتبقى حسيرا منقطعا متسخطا خجلا ، فأرخ هذا كله والزم الموافقة وحسن الظن بربك عز وجل والصبر الجميل ، فما كان لك لاتسلبه ، وماليس لك لاتعطاه : لعمرى إنك تدعو وتبتهل إلى ربك عز وجل بالدعاء والتضرع وهو عبادة وطاعة امتثالا

لأمره عز وجل فى قوله تعالى (ادعونى أستجب لكم) وقوله تعالى(واسألوا الله من فضله) وغير ذلك من الآيات و الأخبار ، أنت تدعو وهو يستجيب لك عند حينه وأجله إذا أراد وكان لك فى ذلك مصلحة فى دنياك وأخراك ويوافق فى ذلك قضاءه وانتهاء أجله ، لاتتهمه فى تأخير الإجابة ولاتسأم من دعائه ، فإنك إن لم تربح لم تخسر ، وإن لم يجبك عاجلا أثابك آجلا ، فقد جاء فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم « العبد يرى فى صحائفه حسنات يوم القيامة لايعرفها فيقال له إنها بدل سؤالك فى الدنيا الذى لم يقدر قضاؤه فيها » أوكما ورد ثم أقل أحوالك أنك تكون ذاكرا لربك عز وجل موحدا له حيث تسأله ولاتسأل أحدا غيره ، ولاتترك حاجتك لغيره تعالى ، فأنت بين الحالتين فى زمانك كله ليلك ونهارك وصحتك وسقمك وبؤسك ونعمائك وشدتك ورخائك ، إما أن تمسك عن السؤال وترضى بالقضاء وتوافق وتسترسل لفعله عزوجل ، كالميت بين يدى الغاسل ، والطفل الرضيع فى يدى الظئر ، والكرة بين يدى الفارس يقلبها بصولجانه ، فيقلبك القدر كيف يشاء ، إن كان النعماء فمنك الشكر والثناء ومنه عز وجل

المزيد فى العطاء ، كما قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وإن كان البأساء فالصبر والموافقة منك بتوفيقه والتثبت والنصرة والصلاة والرحمة منه عز وجل بفضله وكرمه كما قال عز من قائل (إن الله مع الصابرين) بنصره وتثبيته ، وهو لعبده ناصر له على نفسه وهواه وشيطانه . وقال تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) إذا نصرت الله فى مخالفة نفسك وهواك بترك الاعتراض عليه والسخط بفعله فيك وكنت خصما لله على لفسك سياقا عليها كلما تحركت بكفرها وشركها حززت رأسها بصبرك وموافقتك لربك والطمأنينة إلى فعله ووعده والرضا بهما كان عز وجل لك معينا وأما الصلاة والرحمة ، فقوله عز وجل (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) والحالة الأخرى أنك تبتهل إلى ربك عز وجل بالدعاء والتضرع إعظاما له وامتثالا لأمره ، وفيه وضع الشىء فى موضعه ؛ لأنه ندبك إلى سؤاله والرجوع إليه ، وجعل ذلك مستراحا ورسولا منك إليه وموصلة ووسيلة لديه بشرط ترك التهمة والسخط عليه عند تأخير الإجابة إلى

حينها ، اعتبر مابين الحالتين ولاتكن ممن تجاوز عن حديهما ، فإنه ليس هناك حالة أخرى ، فاحذر أن تكون من الظالمين المعتدين فيهلكك عز وجل ولا يبالى كما أهلك من مضى من الأمم السالفة فى الدنيا بتشديد بلائه وفى الآخرة بأليم عذابه .

المقالة الخامسة والثلاثون

فى الورع

قال رضى الله عنه وأرضاه : عليك بالورع وإلا فالهلاك فى زيقك ملازم لك لاتنجو منه أبدا إلا أن يتغمدك الله تعالى برحمته ، فقد ثبت فى الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن ملاك الدين الورع ، وهلاكه الطمع ، وإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، كالراتع إلى جنب الزرع يوشك أن يمد فاه إليه لايكاد أن يسلم الزرع منه» وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : كنا نترك سبعين بابا من المباح مخافة أن نقع فى الجناح .وعن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : كنا نترك تسعة أعشار

الحلال مخافة أن نقع فى الحرام ، فعلوا ذلك تورعا من مقاربة الحرام أخذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه ، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه» فمن دخل حصن الملك فجاز الباب الأول ثم الثانى والثالث حتى قرب من سدته خير ممن وقف على الباب الأول الذى يلى البر ، فإنه إن أغلق عنه غلق الباب الثالث لم يضره وهو من وراء بابين من أبواب القصر ومن دونه حراس الملك وجنده ؛ وأما إذا كان على الباب الأول فأغلقوا عنه بقى فى البر وحده فأخذته الذئاب والأعداء وكان من الهالكين ، فهكذا من سلك العزيمة ولازمها : إن سلب عنه مدد التوفيق والرعاية وانقطعت عنه حصل فى الرخص ولم يخرج عن الشرع ، فإذا أدركته المنية كان على العبادة والطاعة ويشهد له بخير العمل ، ومن وقف على الرخص ولم يتقدم إلى العزيمة إن سلب عنه التوفيق فقطعت عنه أمداده ، فغلب الهوى عليه وشهوات النفس ، فتناول الحرام خرج من الشرع فصار فى زمرة الشياطين أعداء الله عز وجل الضالين عن سبل الهدى ، فإن أدركته المنية قبل التوبة كان من الهالكين إلا أن يتغمده الله تعالى برحمته وفضله ، فالخطر

فى القيام مع الرخص ، والسلامة كل السلامة مع العزيمة ، والله الهادى إلى سواء الطريق .

المقالة السادسة والثلاثون

فى بيان الدنيا والآخرة وما ينبغى أن يعمل فيهما

قال رضى الله عنه وأرضاه : اجعل آخرتك رأس مالك ودنياك ربحه ، واصرف زمانك أولا فى تحصيل آخرتك . ثم إن فضل من زمانك شىء اصرفه فى دنياك وفى طلب معاشك ، ولا تجعل دنياك رأس مالك وآخرتك ربحه . ثم إن فضل من الزمان فضلة صرفتها فى آخرتك تقضى فيها الصلوات تسبكها سبيكة واحدة ساقطة الأركان ، مختلفة الواجبات من غير ركوع وسجود وطمأنينة بين الأركان ، أو يلحقك التعب والإعياء فتنام عن القضاء جملة ، جيفة فى الليل بطالا فى النهار ، تابعا لنفسك وهواك وشيطانك ، وبائعا آخرتك بدنياك عند النفس ومطيتها ومركبها ، أمرت بركوبها وتهذيبها ورياضتها والسلوك بها فى سبيل السلامة وهى طرق الآخرة وطاعة مولاها عز وجل

فظلمتها بقبولك منها وسلمت زمامها إليها وتبعتها فى شهواتها ولذاتها وموافقتها وشيطانها وهواها ففاتك خير الدنيا والآخرة وخسرتهما فدخلت القيامة أفلس الناس وأخسرهم دينا ودنيا ، وما وصلت بمتابعتها إلى أكثر من قسمك من دنياك ، ولو سلكت بها طريق الآخرة وجعلتها رأس مالك ربحت الدنيا والآخرة ووصل إليك قسمك من الدنيا هنيئاً مريئا وأنت مصون مكرم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا » وكيف لايكون كذلك ونية الآخرة هى طاعة الله لأن النية روح العبادات وذاتها .

وإذا أطعت الله بزهدك فى الدنيا أو طلبك دار الآخرة كنت من خواص الله عز وجل وأهل طاعته ومحبته ، وحصلت لك الآخرة وهى الجنة وجوار الله عز وجل وخدمتك الدنيا فيأتيك قسمك الذى قدر لك منها ، إذ الكل تبع لخالقها ومولاها وهو الله عز وجل ، وإن اشتغلت بالدنيا وأعرضت عن الآخرة غضب الرب عليك ففاتتك الآخرة وتعاصت الدنيا عليك وتعسرت وأتعبتك فى إيصال قسمك إليك لغضب الله

عز وجل عليك لأنها مملوكته ، تهين من عصاه وتكرم من أطاعه ، فيتحقق حينئذ قوله صلى الله عليه وسلم « الدنيا والآخرة ضرتان ، إن أرضيت إحداهما أسخطت عليك الأخرى » قال الله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) يعنى به أبناء الآخرة ، فانظر من أبناء أيهما أنت ؟ ومن أى القبيلتين تحب أن تكون وأنت فى الدنيا ؟ ثم إذا صرت إلى الآخرة فالخلق فريقان فريق فى طلب الدنيا وفريق فى طلب الآخرة ، وهم أيضا يوم القيامة فريقان (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) فريق فى الموقف قيام فى طول الحساب فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون كما قال تعالى ، وفريق فى ظل العرش كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم « إنكم لكونون يوم القيامة فى ظل العرش عاكفون على الموائد، عليها أطايب الطعام والفواكه والشهد أبيض من الثلج » كما جاء فى الحديث « ينظرون منازلهم فى الجنة حتى إذا فرغ من حساب الخلق دخلوا الجنة ، يهتدون إلى منازلهم كما يهتدى أحد الناس فى الدنيا إلى منزله » فهل وصلوا إلى هذه إلا بتركهم الدنيا واشتغالهم بطلب الآخرة والمولى . وهل وقع أولئك فى الحساب وأنواع الشدائد والذل

إلا لاشتغالهم بالدنيا ورغبتهم فيها وزهدهم فى الآخرة وقلة المبالاة بأمرها ونسيان يوم القيامة وما سيصيرون إليه غدا مما ذكر فى الكتاب والسنة .

فانظر لنفسك نظر رحمة وشفقة ، واختر لها خير القبيلتين وأفردها عن أقوال السوء من شياطين الإنس والجن ، واجعل الكتاب والسنة أمامك ؛ وانظر فيهما واعمل بهما ، ولاتغتر بالقال والقيل والهوس : قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله) ولا تخالفوه فتتركوا العمل بماجاء به وتخترعوا لأنفسكم عملا وعبادة كما قال عز وجل فى حق قوم ضلوا سواء السبيل (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) الآية ، ثم إنه قد زكى هو عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ونزهه عن الباطل والزور فقال عز وجل (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى) أى ما آتاكم به فهو من عندى لامن هواه ونفسه فاتبعوه ، ثم قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فبين أن طريق المحبة اتباعه قولا وفعلا ، فالنبى عليه الصلاة والسلام قال « الاكتساب سنتى ، والتوكل حالتى » أو كما قال ، فأنت بين سنته وحالته وإن ضعف إيمانك

فالتكسب الذى هو سنته وإن قوى إيمانك فحالته التى هى التوكل قال الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)وقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى (إن الله يحب المتوكلين) فقد أمرك بالتوكل ونبهك عليه كما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله (وتوكل على الله) فاتبع أوامر الله عز وجل فى سؤاله فى أعمالك فهى مردودة عليك . قال النبى صلى الله عليه وسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ » هذا يعلم طلب الرزق والأعمال والأقوال ، ليس لنا نبى غيره فنتبعه ولا كتاب غير القرآن فنعمل به ، فيضلك هواك والشيطان . قال الله تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فالسلامة مع الكتاب والسنة ، والهلاك مع غيرهما ، وبهما يترقى العبد إلى حالة الولاية والبدلية والغوثية ، والله أعلم .

المقالة السابعة والثلاثون

فى ذم الحسد والأمر بتركه

قال رضى الله عنه وأرضاه : مالى أراك يامؤمن حاسدا لجارك فى مطعمه ومشربه وملبسه ومنكحه ومسكنه وتقلبه فى غناه ونعم مولاه عز وجل وقسمه الذى قسم له ؟ أما تعلم أن هذا مما يضعف إيمانك ويسقطك من عين مولاك عز وجل ويبغضك إليه ؟ أما سمعت الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « قال الله تعالى فى بعض ماتكلم به : الحسود عدو نعمتى » وما سمعت قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» ثم على أى شىء تحسده يامسكين ؟ أعلى قسمه أم على قسمك ؟ فإن حسدته على قسمه الذى قسمه الله له فى قوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فقد ظلمته ، رجل يتقلب فى نعمة مولاه التى تفضل بها عليه وقدرها له ولم يجعل لأحد فيها حظا ولانصيبا ، فمن يكون أظلم وأبخل وأرعن وأنقص عقلا منك؟ وإن حسدته

على قسمك فقد جهلت غاية الجهل ، فإن قسمك لا يعطى غيرك ولا ينتقل منك إليه ، حاش لله .قال الله عز وجل(مايبدل القول لدى وماأنابظلام للعبيد) إن الله عز وجل لا يظلمك فيأخذ ماقسم وقدر لك فيعطى غيرك ، فهذا جهل منك وظلم لأخيك ، ثم حسدك للأرض التى هى معدن الكنوز والذخائر من أنواع الذهب والفضة والجواهر مما جمعته الملوك المتقدمة من عاد وثمود وكسرى وقيصر أولى من حسدك لجارك المؤمن أو الفاجر ، فإن ما فى بيته لا يكون جزءا من أجزاء ألف ألف جزء مما هناك ، فما حسدك لجارك إلا كمثل رجل رأى ملكا مع سلطانه وجنوده وحشمه وملكه وعلى أراضى واجباته خراجها وارتفاعها لديه وتنعمه بأنواع النعم واللذات والشهوات فلم يحسده على ذلك ثم رأى كلبا بربايخدم كلبا من كلاب ذلك الملك يقوم ويقعد ويصيح فيعطى من مطبخ الملك بقايا الطعام ورداءته فيتقوت به فأخذ يحسده ويعاديه ويتمنى موته وهلاكه وكونه مكانه وأن يخلفه فى ذلك خسة ودناءة لازهدا ودينا وقناعة ، فهل يكون فى الزمان رجل أحمق منه وأرعن وأجهل ؟ .

ثم لو علمت يامسكين ماسيلقى جارك غدا من طول الحساب يوم القيامة إن لم يكن أطاع الله فيما خوله وأدى حقه فيها، وامتثال أمره وانتهاء نهيه فيها، واستعان بها على عبادته وطاعته مايتمنى أنه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيما يوما قط ، أما سمعت ماقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ليتمنين أقوام يوم القيامة أن تقرض لحومهم بالمقاريض ممايرون لأصحاب البلاء من الثواب» فيتمنى جارك غدا مكانك فى الدنيا لما يرى من طول حسابه ومناقشته وقيامه خمسين ألف سنة فى حر الشمس فى القيامة ، لأجل مايمتع به من النعيم فى الدنيا وأنت فى معزل عن ذلك فى ظل العرش آكلا شاربا متنعما فرحا مسرورا مستريحا . لصبرك على شدائد الدنيا وضيقها وآفاتها وبؤسها وفقرها ، ورضاك وموافقتك لربك عز وجل فيما دبر وقضى من فقرك وغناء غيرك، وسقمك وعافية غيرك، وشدتك ورخاء غيرك ، وذلك وعز غيرك ، جعلنا الله وإياك ممن صبر عند البلاء ، وشكر على النعماء ، وفوض الأمور إلى رب السماء :

المقالة الثامنة والثلاثون

فى الصدق والنصيحة

قال رضى الله عنه وأرضاه : من عامل مولاه بالصدق والنصاح ، استوحش مما سواه فى المساء والصباح .

ياقوم لاتدعوا ماليس لكم ، ووحدوا ولاتشركوا ، والله إن سهام القدر تصيبكم خدشا لا قتالا ، من كان فى الله تلفه فعلى الله خلفه .

المقالة التاسعة والثلاثون

فى تفسير الشقاق والوفاق والنفاق

قال رضى الله عنه وأرضاه : الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق ، والأخذ مع عدم الهوى وفاق وإنفاق وتركه رياء ونفاق :

المقالة الأربعون

متى يصح السالك أن يكون فى زمرة الروحانيين

قال رضى الله عنه وأرضاه : لاتطمع أن تدخل فى زمرة الروحانيين حتى تعادى جملتك، وتباين جميع الجوارح والأعضاء، وتنفرد عن وجودك وحركاتك وسكناتك وسمعك وبصرك وكلامك وبطشك وسعيك وعملك وعقلك ، وجميع ما كان منك قبل وجود الروح فيك وما أوجد فيك بعد نفخ الروح، لأن جميع ذلك حجابك عن ربك عز وجل ، فإذا صرت روحا منفردة ، سر السر ، غيب الغيب ، مباينا للأشياء فى سرك ، متخذا للكل عدوا وحجابا وظلمة كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام (فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) قال ذلك للأصنام ، فاجعل أنت جملتك وأجزاءك أصناما مع سائر الخلق ، فلا تطع شيئاً من ذلك ولاتتبعه جملة ، فحينئذ تؤمن على الأسرار والعلوم اللدنية وغرائبها ، ويرد إليك التكوين وخرق العادات التى هى من قبيل القدرة التى تكون للمؤمنين فى الجنة ، فتكون

فى هذه الحالة كأنك أحييت بعد الموت فى الآخرة ، فتكون كليتك قدرة ، تسمع بالله ، وتنطق بالله ، وتبصر بالله ، وتبطش بالله ، وتسعى بالله ، وتعقل بالله ، وتطمئن وتسكن بالله ، فتعمى عن سواه وتصم عنه ، فلا ترى لغيره وجودا مع حفظ الحدود والأوامر والنواهى ، فإن انخرم فيك شىء من الحدود فاعلم أنك مفتون متلاعبة بك الشياطين ، وارجع إلى حكم الشرع ودع عنك رأى الهوى ، لأن كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهى زندقة ، والله أعلم .

المقالة الحادية والأربعون

مثل فى الفناء وكيفيته

قال رضى الله عنه وأرضاه : نضرب لك مثلا فى الفناء فنقول : ألا ترى أن الملك يولى رجلا من العوام ولاية على بلدة من البلاد ، ويخلع عليه ويعقد له ألوية ورايات ، ويعطيه الكؤوس والطبل والجند فيكون على ذلك برهة من الزمان ، حتى إذا اطمأن واعتقد بقاءه وثباته ، وعجب به ونسى حالته

الأولى ونقصانه وذله وفقره وخموله، وداخلته النخوة والكبرياء جاءه العزل من الملك فى أشر ما كان من أمره ، ثم طالبه الملك بجرائم صنعها وتعدى أمره ونهيه فيها، فحبسه فى أضيق المحبوس وأشدها ، وطال حبسه ودام ضره وذله وفقره، وذابت نخوته وكبرياؤه، وانكسرت نفسه وخمدت نار هواه، وكل ذلك فى عين الملك ثم تعطف الملك عليه فنظره بعين الرأفة والرحمة، فأمر بإخراجه من الحبس والإحسان إليه، والخلعة عليه ورد الولاية إليه ومثلها معها وجعلها له موهبة، فدامت له وبقيت مصفاة مكفاة مهنأة وكذلك المؤمن إذا قربه الله إليه واجتباه فتح قبالة عين قلبه باب الرحمة والمنة والإنعام، فيرى بقلبه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، من مطالعة الغيوب من ملكوت السموات والأرض، وتقريب وكلام لذيذ لطيف ووعد جميل، ووفاء به، وإجابة دعاء وكلمات حكمة وتصديق وعد، فإنها ترمى إلى قلبه قذفا من مكان بعيد فتظهر على لسانه ، ومع ذلك يسبغ عليه نعمه ظاهرة على جسده وجوارحه، فى المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح الحلال والمباح وحفظ الحدود والعبادات الظاهرة ؛ فيديم الله عز وجل ذلك لعبده المؤمن المجذوب برهة من الزمان،

حتى اطمأن العبد إلى ذلك واغتر به واعتقد دوامه فتح عليه أبواب البلايا وأنواع المحن فى النفس والمال والأهل والولد والقلب ، فينقطع عنه جميع ماكان أنعم الله عليه من قبل ، فيبقى متحيرا حسيرا منكسرا مقطوعا به .

إن نظر إلى ظاهره رأى مايسوؤه ، وإن نظر إلى قلبه وباطنه رأى مايحزنه ، وإن سأل الله تعالى كشف ما به من الضر لم ير إجابته ؛ وإن طلب وعدا جميلا لم يجده سريعا وإن وعد بشىء لم يعثر على الوفاء به ، وإن رأى رؤيا لم يظفر بتعبيرها وتصديقها ، وإن رام الرجوع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سبيلا ، وإن ظهرت له فى ذلك رخصة فعمل بها تسارعت العقوبات نحوه وتسلطت أيدى الخلق على جسمه وألسنتهم على عرضه ؛ وإن طلب الإقالة مما قد أدخل فيه من الحالة الأولى قبل الاجتباء لم يقل ، وإن طلب الرضا أو الطيبة والتنعم بما به من البلاء لم يعط فحينئذ تأخذ النفس فى الذوبان والهوى فى الزوال والإرادة والأمانى فى الرحيل والأكوان فى التلاشى ، فيدام له ذلك بل يزداد تشديدا وعصرا وتأكيدا ، حتى إذا فنى العبد من الأخلاق الإنسانية والصفات البشرية وبقى روحا فقط يسمع

نداء فى باطنه (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) كما قيل لسيدنا أيوب عليه السلام ، فيمطر الله عز وجل فى قلبه بحار رحمته ورأفته ولطفه ومنته ، ويحييه بروحه ويطيبه بمعرفته ودقائق علومه ، ويفتح عليه أبواب رحمته ونعمته ودلاله ، وأطلق إليه الأيدى بالبذل والعطاء والخدمة فى سائر الأحوال والألسن بالحمد والثناء ، والذكر الطيب فى جميع المحال ، والأرجل بالترحال ، وذلل له وسخر له الملوك والأرباب ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، تربيته ظاهرة بخلقه ونعمه ، ويستأثره تربيته باطنة بلطفه وكرمه ، وأدام له ذلك إلى اللقاء ، ثم يدخله فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما قال جل وعلا (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) :

المقالة الثانية والأربعون

فى بيان حالتى النفس

قال رضى الله عنه وأرضاه : النفس لها حالتان لا ثالث لهما حالة عافية ، وحالة بلاء ، فإذا كانت فى بلاء فالجزع والشكوى والسخط والاعتراض والتهمة للحق جل وعلا لاصبر ولا رضى ولا موافقة ، بل سوء الأدب والشرك بالحق والأسباب والكفر ، وإذا كانت فى عافية فالشره والبطر واتباع الشهوات واللذات ، كلما نالت شهوة طلبت أخرى ، واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب ، فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوبا ونقصا ، وتطلب أعلى منها وأسنى مما لم يقسم لها ، وتعرض عما قسم لها ، فتوقع الإنسان فى تعب طويل ، ولا ترضى بما فى يديها وما قسم لها ، فيرتكب الغمرات ويخوض المهالك فى تعب طويل لاغاية له ولامنتهى فى الدنيا ، ثم فى العقبى ، كما قيل : إن من أشد العقوبات طلب ما لايقسم . وإذا كانت فى بلاء

لاتتمنى سوى انكشافها وتنسى كل نعيم وشهوة ولذة ولاتطلب شيئا منها، فإذا عوفيت منها رجعت إلى رعونتها وشرهها وبطرها وإعراضها عن طاعة ربها وانهماكها فى معاصيه ، وتنسى ما كانت فيه من أنواع البلاء والضر وما حل بها من الويل ، فترد إلى أشد ما كانت عليه من أنواع البلاء والضر ، لما اجترحت وركبت من العظائم فطما لها وكفا عن المعاصى فى المستقبل ، إذ لاتصلح لها العافية والنعمة بل حفظها فى البلاء والبؤس ، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة والشكر والرضى بالمقسوم لكان خيرا لها دنيا وأخرى ، وكانت تجد زيادة فى النعيم والعافية والرضى من الله عز وجل والطيبة والتوفيق ، فمن أراد السلامة فى الدنيا والأخرى فعليه بالصبر والرضا ، وترك الشكوى إلى الخلق وإنزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه والانقطاع إليه عز وجل، إذ هو خير من غيره ومن جميع خلقه ، حرمانه عطاء ، عقوبته نعماء ، بلاؤه دواء ، وعده نقد ، قوله فعل مشيئة حاله ، إنما قوله وأمره (إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) كل أفعاله حسنة وحكمة ومصلحة ، غير أنه طوى

علم المصالح من عباده وتفرد به ، فالأولى واللائق بحاله الرضى والتسليم ، واشتغاله بالعبودية من أداء الأوامر وانتهاء النواهى والتسليم فى القدر ، وترك الاشتغال فى الربوبية التى هى علة الأقدار ومحاربتها ، والسكوت عن لم وكيف ومتى ؟ والتهمة للحق عز وجل فى جميع حركاته وسكناته ، وتستند هذه الجملة إلى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، وهو ما روي عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « بينما أنا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال لى يا غلام : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، فإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ، فلو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ، ولو جهد العباد أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعامل الناس بالصدق واليقين فاعمل ، وإن لم تستطع فإن فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا . واعلم أن النصرة بالصبر والفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » فينبغى لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة لقلبه وشعاره ودثاره

وحديثه ، فيعمل به فى جميع حركاته وسكناته حتى يسلم فى الدنيا والآخرة ويجد العزة فيهما ، برحمة الله عز وجل .

المقالة الثالثة والأربعون

فى ذم السؤال من غير الله تعالى

قال قدس الله سره : ماسأل الناس من سأل إلا لجهله بالله عز وجل وضعف إيمانه ومعرفته ويقينه وقلة صبره ، وماتعفف من تعفف عن ذلك إلا لوفور علمه بالله عز وجل وقوة إيمانه ويقينه وتزايد معرفته بربه عز وجل فى كل يوم ولحظة وحيائه منه عز وجل ○

المقالة الرابعة والأربعون

فى سبب عدم استجابة دعاء العارف بالله تعالى

قال قدس الله سره : إنما لم يستجب للعارف كلما يسأل ربه عز وجل ويوفى له بكل وعد لئلا يغلب عليه الرجاء فيهلك ،

لأن مامن حالة ومقام إلا ولذلك خوف ورجاء هما ككجناحى طائر لايتم الإيمان إلابهما وكذلك الحال والمقام ؛ غير أن خوف كل حالة ورجاءها بما يليق بها ، فالعارف مقرب وحالته ومقامه أن لايريد شيئاسوى مولاه عزوجل ولايركن ولايطمئن الى غيره عز وجل ، ولايستأنس بغيره ؛ فطلبه لإجابة سؤاله والوفاء بعهده غير ماهو بصدده ولائق بحاله ففى ذلك أمران اثنان : أحدهما لئلا يغلب عليه الرجاء والغرة بمكر ربه عز وجل فيغفل عن القيام بالأدب فيهلك ، والآخر شركه بربه عزوجل بشىء سواه ، إذ لا معصوم فى العالم فى الظاهر بعد الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فلا يجيبه ولا يوفى له كيلا يسأل عادة ويريده طبعا لاامتثالا للأمر ، لما فى ذلك من الشرك والشرك كبيرة فى الأحوال كلها والأقدام جميعها والمقامات بأسرها .

وأما إذا كان السؤال بأمر فذلك مما يزيده قربا كالصلاة والصيام وغيرهما من الفرائض والنوافل ، لأنه يكون فى ذلك ممتثلا للأمر .

المقالة الخامسة والأربعون

فى النعمة والابتلاء

قال رضى الله عنه وأرضاه : إن الناس رجلان : منعم عليه ، ومبتلى بما قضى ربه عز وجل ، فالمنعم عليه لايخلو من المعصية والتكدر فيما أنعم عليه ، فهو فى أنعم مايكون من ذلك إذ جاء القدر بما يكدره عليه من أنواع البلايا من الأمراض والأوجاع والمصائب فى النفس والمال والأهل والأولاد فيتعظ بذلك، فكأنه لم ينعم عليه قط وينسى ذلك النعيم وحلاوته وإن كان الغنى قائما بالمال والجاه والعبيد والإماء والأمن من الأعداء فهو فى حال النعماء كأن لابلاء فى الوجود ، كل ذلك لجهله بمولاه عز وجل وبالدنيا ؛ فلو علم أن مولاه عز وجل (فعال لما يريد) يبدل ، ويحلى ويمر ، ويغنى ويفقر ، ويرفع ويخفض ، ويعز ويذل ، ويحيى ويميت ، ويقدم ويؤخر ، لما اطمأن إلى مابه من النعيم ، ولما اغتر به ، ولما أيس من الفرج فى حالة البلاء؛ وبجهله أيضا بالدنيا اطمأن إليها وطلب بها صفاء

لايشوبه كدر ، ونسى أنها دار بلاء وتنغيص ، وتكاليف وتكدير ، وأن أصلها بلاء وطارفها نعماء فهى كشجرة الصبر أول ثمرتها مر وآخرها شهد حلو ، لايصل المرء إلى حلاوتها حتى يتجرع مرارتها، فلن يبلغ إلى الشهد إلا بالصبر على المر، فمن صبر على بلائها حلى له نعيمها، إنما يعطى الأجير أجره بعد عرق جبينه وتعب جسده وكرب روحه وضيق صدره وذهاب قوته وإذلال نفسه وكسر هواه فى خدمة مخلوق مثله، فلما تجرع هذه المرائر كلها أعقبت له طيب طعام وإدام وفاكهة ولباس وراحة وسرور ولو أقل قليل، فالدنيا أولها مرة كالصحفة العليا من عسل فى ظرف مشوبة بمرارة ، فلا يصل الآكل إلى قرار الظرف ويتناول الخالص منه إلا بعد تناول الصحفة العليا، فإذا صبر العبد على أداء أوامر الرب عز وجل وانتهاء نواهيه ، والتسليم والتفويض فيما يجرى به القدر، وتجرع مرائر ذلك كله وتحمل أثقاله ،وخالف هواه وترك مراده. أعقبه الله عز وجل بذلك طيب العيش فى آخر عمره والدلال والراحة والعزة ، ويتولاه ويغذيه كما يغذى الطفل الرضيع من غير تكلف منه وتحمل مؤنة وتبعة فى الدنيا والأخرى كما يتلذذ آكل المر من

الصحفة العليا من الغسل يأكله من قرار الظرف ، فينبغي للعبد المنعم عليه أن لايأمن مكر الله عز وجل ، فيغتر بالنعمة ويقطع بدوامها ، ويغفل عن شكرها ويرخى قيدها بتركه لشكرها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « النعمة وحشية فقيدوها بالشكر » فشكر نعمة المال الاعتراف بها للمنعم المتفضل وهو الله عزوجل والتحدث بها لنفسه فى سائر الأحوال ورؤية فضله ومنته عزوجل وأن لايتملك عليه ولايتجاوز حده فيه ، ولايترك أمره فيه : ثم بأداء حقوقه من الزكاة والكفارة والنذر والصدقة ، وإغاثة الملهوف ، وافتقاد أرباب الحاجات وأهلها فى الشدائد عند تقلب الأحوال وتبدل الحسنات بالسيئات ، أعنى ساعات النعيم والرخاء بالبأساء والضراء ، وشكر نعمة العافية فى الجوارح والأعضاء فى الاستعانة بها على الطاعات والكف عن المحارم والسيئات ، والمعاصى والآثام ، فذلك قيد النعم عن الرحلة والذهاب ، وسقى شجرتها وتنمية أغصانها وأوراقها ، وتحسين ثمرتها ، حلاوة طعمها ، وسلامة عاقبتها ، ولذاذة مضغها ، وسهولة بلعها ، وتعقب عافيتها وريعها فى الجسد ، ثم ظهور بركتها على الجوارح من أنواع الطاعات والقربات والأذكار ، ثم دخول

العبد بعد ذلك فى الآخرة فى رحمة الله عز وجل ؛ والخلود فى الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا - فإن لم يفعل ذلك واغتر بما ظهر من زينة الدنيا وبما ذاق من لذاتها ، واطمأن إلى بريق سرابها وما لاح من برقها وما هب من نسيم أول نهار قيظها، ونعومة جلود حياتها وعقاربها ، وغفل وعمى عن سمومها القاتلة المودعة فى أعماقها ؛ ومكامنها ومصايدها المنصوبة لأخذه وحبسه وهلاكه ، فليهنأ للردى وليستبشر بالعطب والفقر العاجل ، مع الذل والهوان فى الدنيا والعذاب الآجل فى النار ولظى .

وأما المبتلى ، فتارة يبتلى عقوبة ومقابلة لجريمة ارتكبها ومعصية اقترفها ، وأخرى يبتلى تكفيرا وتمحيصا ، وأخرى يبتلى لارتفاع الدرجات وتبليغ المنازل العاليات ليلحق بأولى العلم من أهل الحالات والمقامات ، ممن سبقت لهم عناية من رب الخليقة والبريات ، وسيرهم مولاهم ميادين البليات على مطايا الرفق والألطاف ، وروحهم بنسيم النظرات واللحظات فى الحركات والسكنات ؛ إذ لم يكن ابتلاهم للإهلاك والإهواء فى الدركات ، ولكن اختبرهم بها للاصطفاء والاجتباء واستخرج

بها منهم حقيقة الإيمان، وصفاها وميزها من الشرك والدعاوى والنفاق، ونحلاهم بها أنواع العلوم والأسرار والأنوار، فجعلهم من الخلص الخواص، ائتمنهم على أسراره، وارتضاهم لمجالسته. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الفقراء الصبر جلساء الرحمن يوم القيامة» دنيا وأخرى فى الدنيا بقلوبهم وفى الآخرة بأجسادهم، فكانت البلايا مطهرة لقلوبهم من دون الشرك، والتعلق بالخلق والأسباب والأمانى والإرادات، وذوابة لها وسباكة من الدعاوى والموسات، وطلب الأعواض بالطاعات من الدرجات والمنازل العاليات فى الآخرة فى الفردوس والجنات.

فعلامة الابتلاء على وجه المقابلة والعقوبات، عدم الصبر عند وجودها والجزع والشكوى إلى الخليقة والبريات.

وعلامة الابتلاء تكفيرا وتمحيصا للخطيات وجود الصبر الجميل من غير شكوى وإظهار الجزع إلى الأصدقاء والجيران والتضجر بأداء الأوامر والطاعات.

وعلامة الابتلاء ارتفاع وجود الرضا والموافق، وطمأنينة

النفس والسكون بفعل إله الأرض والسموات، والفناء فيها إلى حين الانكشاف بمرور الأيام والساعات .

المقالة السادسة والأربعون

فى قوله صلى الله عليه وسلم عن الحديث القدسى « من شغله ذكرى » إلى آخره

قال رضى الله عنه وأرضاه فى قول النبى صلى الله عليه وسلم عن ربى عز وجل : « من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » وذلك أن المؤمن إذا أراد الله عز وجل اصطفاءه واجتباءه ؛ سلك به الأحوال وامتحنه بأنواع المحن والبلايا فيفقره بعد الغنى ويضطره إلى مسألة الخلق فى الرزق عند سد جهاته عليه، ثم يصونه عن مسألتهم ويضطره إلى القرض منهم ثم يصونه عن القرض ويضطره إلى الكسب ويسهله عليه وييسره له فيأكل بالكسب الذى هو السنة ، ثم يعسره عليه ويلهمه السؤال للخلق، ويأمره به بأمر باطن يعلمه ويعرفه ويجعل عبادته فيه ومعصيته فى تركه ، ليزول بذلك هواه وتنكسر نفسه وهى حالة الرياضة ، فيكون سؤاله على

وجه الإجبار لاعلى وجه الشرك بالجبار ، ثم يصونه عن ذلك ويأمره بالقرض منهم أمرا جزما لايمكنه تركه كالسؤال من قبل ثم ينقله من ذلك ويقطعه عن الخلق ومعاملتهم ؛ فيجعل رزقه فى السؤال له عزوجل فيسأله جميع مايحتاج إليه فيعطيه عزوجل ولايقطعه إن سكت وأعرض عن السؤال ، ثم ينقله من السؤال باللسان إلى السؤال بالقلب فيسأله بقلبه جميع مايحتاج فيعطيه حتى أنه لو سأله بلسانه لم يعطه أو سأل الخلق لم يعطوه ، يغنيه عنه وعن السؤال جملة ظاهرا وباطنا ، فيناديه بجميع مايصلحه ويقوم به أوده من المأكول والمشروب والملبوس وجميع مصالح البشر من غير أن يكون هو فيها أو تخطر بباله ، فيتولاه عزوجل وهو قوله عز وجل (إن وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) فيتحقق حينئذ قوله عزوجل «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» وهى حالة الفناء التى هى غاية أحوال الأولياء والأبدال ، ثم قد يرد إليه التكوين فيكون جميع مايحتاج إليه بإذن الله وهو قوله جل وعلا فى بعض كتب « يا ابن آدم أنا الله الذى لا إله إلا أنا أقول للشيء كن فيكون ، أطعنى أجعلك تقول للشيء كن فيكون » .

المقالة السابعة والأربعون

فى التقرب إلى الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : سألنى رجل شيخ فى المنام فقال : أى شىء يقرب العبد إلى الله عز وجل ؟ فقلت : لذلك ابتداء وانتهاء ، فابتداؤه الورع وانتهاؤه الرضى والتسليم والتوكل ؛

المقالة الثامنة والأربعون

فيما ينبغى للمؤمن أن يشتغل به

قال رضى الله عنه وأرضاه : ينبغى للمؤمن أن يشتغل أولا بالفرائض ، فإذا فرغ منها اشتغل بالسنن ، ثم يشتغل بالنوافل والفضائل ، فما لم يفرغ من الفرائض فالاشتغال بالسنن حمق ورعونة ، فإن اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض لم يقبل منه وأهين ، فمثله كمثل رجل يدعوه الملك إلى خدمته فلا يأتى إليه ويقف فى خدمة الأمير الذى هو غلام الملك وخادمه وتحت يده وولايته :

عن أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مثل مصلى النوافل قبل الفرائض كمثل حبلى حملت فلما دنا نفاسها أسقطت فلا هى ذات حمل ولا هى ذات ولادة ، كذلك المصلى لا يقبل الله له نافلة حتى يؤدى الفريضة . ومثل المصلى كمثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس ماله ، وكذلك المصلى بالنوافل لا تقبل له نافلة حتى يؤدى الفريضة ، وكذلك من ترك السنة واشتغل بنافلة لم ترتب مع الفرائض ولم ينص عليها ويؤكد أمرها فمن الفرائض ترك الحرام والشرك بالله عز وجل فى خلقه ، والإعتراض عليه فى قدره وقضائه وإجابة الخلق وطاعتهم ، والإعراض عن أمر الله عز وجل وطاعته : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

المقالة التاسعة والأربعون

فى ذم النوم

قال رضى عنه وأرضاه : من اختار النوم على الذى هو سبب اليقظة فقد اختار الأنقص والأدنى واللحوق بالموت والغفلة عن جميع المصالح ، لأن النوم أخو الموت ولهذا لايجوز النوم على الله لما انتفى عز وجل عن النقائص أجمع ، وكذلك الملائكة لما قربوا منه عز وجل نفى النوم عنهم ، وكذلك أهل الجنة لما كانوا فى أرفع المواضع وأطهرها وأنفسها وأكرمها نفى النوم عنهم لكونه نقصا فى حالتهم ؛ فالخير كل الخير فى اليقظة ، والشر كل الشر فى النوم والغفلة ، فمن أكل بهواه أكل كثيرا فشرب كثيرا فنام كثيرا فندم كثيرا طويلا وفاته خير كثير ، ومن أكل قليلا من الحرام كان كمن أكل كثيرا من المباح بهواه ، لأن الحرام يغطى الإيمان ويظلمه كالخمر يظلم العقل ويغطيه ، فإذا أظلم الإيمان فلا صلاة ولا عبادة ولا إخلاص ، ومن أكل من الحلال كثيرا بالأمر كان كمن

أكل منه قليلا فى النشاط فى العبادة والقوة ، فالحلال نور فى نور ، والحرام ظلمة فى ظلمة، لاخير فيه . أكل الحلال بهواه بغير الأمر ،وأكل الحرام مستجلبان للنوم ؛ فلا خير فيه .

المقالة الخمسون

فى علامة دفع العبد عن الله تعالى ، وبيان كيفية التقرب منه تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : لايخلو أمرك من قسمين :

إما أن تكون غائبا عن القرب من الله أو قريبا منه واصلا إليه ، فإن كنت غائبا عنه فما قعودك وتوانيك عن الحظ الأوفر والنعيم والعز الدائم والكفاية الكبرى والسلامة والغنى والدلال فى الدنيا والأخرى ؟ فقم وأسرع فى الطيران إليه عز وجل بجناحين : أحدهما : ترك اللذات والشهوات الحرام منها والمباح والراحات أجمع ، والآخر احتمال الأذى والمكاره وركوب العزيمة والأشد، والخروج من الخلق والهوى والإرادات والمنى دنيا وأخرى حتى تظفر بالوصول والقرب ، فتجد عند ذلك جميع ماتتمنى ، وتحصل لك الكرامة العظمى والعزة الكبرى

فإن كنت من المقربين الواصلين إليه عز وجل ممن أدركتهم العناية وشملتهم الرعاية وجذبتهم المحبة ونالتهم الرحمة والرأفة ، فأحسن الأدب ولا تغتر بما أنت فيه ، فتقصر فى الخدمة ، ولا تخلد إلى الرعونة الأصلية من الظلم والجهل والعجل فى قوله تعالى (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) وقوله تعالى (وكان الإنسان عجولا) واحفظ قلبك من الالتفات إلى ما تركته من الخلق والهوى والإرادة والتخير وترك الصبر والموافقة والرضى عند نزول البلاء ، واستطرح بين يدى الله عز وجل كالكرة بين يدى الفارس يقلبها بصولجانه ، والميت بين يدى الغاسل، والطفل الرضيع فى حجر أمه وظئره ، تعامى عمن سواه عز وجل فلا ترى لغيره وجودا ولا ضرا ولا نفعا ولا عطاء ولا منعا ، اجعل الخليقة والأسباب عند الأذية والبلية كسوطه عز وجل يضربك به ، وعند النعمة والعطية كيده يلقمك بها :

المقالة الحادية والخمسون

فى الزهد

قال رضى الله عنه وأرضاه :

الزاهد يثاب بسبب الأقسام مرتين يثاب فى تركها أوّلا ، فلايأخذها بهواه وموافقة النفس ، بل يأخذها بمجرد الأمر ، فإذا تحققت عداوته لنفسه ومخالفته لهواه عد من المحققين وأهل الولاية وأدخل فى زمرة الأبدال والعارفين أمر حينئذ بتناولها والتلبس بها ، إذ هى قسمة لابد له منها لم تخلق لغيره ، جف بها القلم وسبق بها العلم ، فإذا امتثل الأمر فتناول أواطلع بالعلم فتلبس بها بجريان القدر والفعل فيه من غير أن يكون هو فيه ، لاهوى ولا إرادة ولاهمة أثيب بذلك ثانيا ، هو ممتثل للأمر بذلك أوموافق لفعل الحق عز وجل فيه ؛

فإن قال قائل :كيف أطلقت القول بالثواب لمن هو فى المقام الأخير الذى ذكرته من أنه أدخل فى زمرة الأبدال والعارفين المفعول فيهم ، الفانين عن الخلق والأنفس والأهوية والإرادات

والحظوظ والأمانى والأعواض على الأعمال الذين يرون جميع طاعاتهم وعباداتهم فضلا من الله عز وجل ونعمة ورحمة وتوفيقا وتيسيرا منه عز وجل ويعتقدون أنهم عبيد الله عز وجل، والعبد لا يستحق على مولاه حقا ، إذ هو برمته مع حركاته وسكناته وأكسابه ملك لمولاه ، فكيف يقال فى حقه يثاب وهو لا يطلب ثوابا ولا عوضا على فعله ولا يرى له عملا ، بل يرى نفسه من البطالين وأفلس المفلسين من الأعمال .

فنقول : صدقت ، غير أن الله عز وجل يواصله بفضله ويدلله بنعمه ويربيه بلطفه ورأفته وبره ورحمته وكرمه، إذ كف يده عن مصالح نفسه وطلب الحظوظ لها وجلب النفع إليها ودفع الضر عنها ، فهو كالطفل الرضيع الذى لا حراك له فى مصالح نفسه وهو مدلل بفضل الله عز وجل ورزقه الدار على يدى والديه الوكيلين الكفيلين ؛ فلما سلب عنه مصالح نفسه عطف قلوب الخلق عليه وأوجد رحمة وشفقة له فى القلوب حتى كل واحد يرحمه ويتعطف عليه ويبره ، فهكذا الكل فان عن سوى الله الذى لا يحركه غير أمره أو فعله مواصل بفضل الله عز وجل دنيا وأخرى مدلل فيهما مدفوع عنه الأذى متولى، قال تعالى (إن وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين).

المقالة الثانية والخمسون

فى سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين

قال رضى الله عنه وأرضاه : إنما يبتلى الله طائفة من المؤمنين الأحباب من أهل الولاية ليردهم بالبلاء إلى السؤال فيحب سؤالهم ، فإذا سألوا يجب إجابتهم فيعطى الكرم والجود حقهما لأنهما يطالبان لأنه عز وجل عند سؤال المؤمنين من الإجابة ، وقد تحصل الإجابة ولا يحصل النقد والنقاد لتعويق القدر لا على وجه عدم الإجابة والحرمان ؛ فليتأدب العبد عند نزول البلاء ؛ وليفتش عن ذنوبه فى ترك الأوامر وارتكاب المناهى ماظهر منها وما بطن . والمنازعة فى القدر إذا تعاقب عليه ، إنما يبتلى بذلك مقابلة ، فإن انكشف البلاء ، وإلا ، فليتخذ إلى الدعاء والتضرع والاعتذار فيديم بالسؤال لجواز أن يكون ابتلاه ليسأله ، ولا يتهمه لتأخير الإجابة لما بيناه ، والله أعلم .

المقالة الثالثة والخمسون

فى الأمر بطلب الرضى من الله ، والفناء به تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : اطلبوا من الله عز وجل الرضا أو الفناء ، لأنه هو الراحة الكبرى والجنة العالية المنفردة فى الدنيا ، وهو باب الله الأكبر وعلة محبة الله لعبده المؤمن ، فمن أحبه الله لم يعذبه فى الدنيا والآخرة فيه اللحوق بانه عز وجل والوصول إليه ، ولا تشتغلوا بطلب الحظوظ وأقسام لم تقسم أو قسمت ، فإن كانت لم تقسم فالاشتغال بطلبها حمق ورعونة وجهالة ، وهو أشد المقوبات ؛ كما قيل : من أشد العقوبات طلب مالايقسم ، وإن كانت مقسومة فالاشتغال بها شره وحرص وشرك من باب العبودية والمحبة الحقيقية ، لأن الاشتغال بغير الله عز وجل شرك ، وطالب الحظ ليس بصادق فى محبته وولايته فمن احتال مع الله غيره فهو كذاب وطالب العوض على عمله غير مخلص ، وإنما المخلص من عبد الله ليعطى الربوبية حقها للمالكية والحقيقة ، لأن الحق عز وجل يملكه ويستحق عليه

العمل والطاعة له بحركاته وسكناته وسائر أكسابه، والعبد وما في يده ملك لمولاه؛ كيف وقد بينا في غير موضع أن العبادات بأسرها نعمة من الله وفضل منه على عبده إذ وفقه لها وأقدره عليها، فالاشتغال بالشكر لربه خير وأولى من طلبه من الأعواض أو الجزاء عليها، ثم كيف تشتغل بطلب الحظوظ وقد ترى خلقا كثيرا كلما كثرت الحظوظ عندهم وتواترت وتتابعت اللذات والنعم والأقسام إليهم زاد سخطهم على ربهم وتضجرهم وكفرهم بالنعمة وكثرة همومهم وغمومهم وفقرهم إلى أقسام لم تقسم غير ما عندهم وحقرت وصغرت وقبحت أقسامهم عندهم وعظمت وكبرت وحسنت أقسام غيرهم في قلوبهم وأعينهم فشرعوا في طلبها، فذهبت أعمارهم وانحلت قواهم، وكبرت سنهم وشدّت أحوالهم وتعبت أجسادهم وعرقت جباههم وسودت صحائفهم بكثرة آثامهم وارتكاب عظائم الذنوب في طلبها وترك أوامر ربهم، فلم ينالوها وخرجوا من الدنيا مفاليس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لاشكروا ربهم فيما قسم لهم من أقسامهم فاستعانوا بها على طاعته؛ وما نالوا ماطلبوا من أقسام غيرهم؛ بل ضيعوا دنياهم وآخرتهم، فهم أشر الخليقة وأجهلهم

وأحمقهم وأخسهم عقولا وبصيرة ؛ فلو أنهم رضوا بالقضاء وقنعوا بالعطاء وأحسنوا طاعة المولى لأتتهم أقسامهم من الدنيا من غير تعب ولا عناء، ثم نقلوا إلى جوار العلى الأعلى فوجدوا عنده كل مراد ومنى ، جعلنا الله وإياكم ممن رضى بالقضاء ، وجعل سؤاله ذلك والفناء ؛ وحفظ الحال والتوفيق بما يحبه ويرضى :

المقالة الرابعة والخمسون

فيمن أراد الوصول إلى الله تعالى

وبيان كيفية للوصول إليه تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : من أراد الآخرة فعليه بالزهد فى الدنيا ، ومن أراد الله فعليه بالزهد فى الآخرة ؛ فيترك دنياه لآخرته وآخرته لربه ؛ فما دام فى قلبه شهوة من شهوات الدنيا ولذة من لذاتها وطلب راحة من راحتها من سائر الأشياء من مأكول أو مشروب وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب ، وولاية ورياسة

وطبقة فى علم من فنون العلم من الفقه فوق العبادات الخمس، ورواية الحديث وقراءة القرآن بروايته ، والنحو واللغة والفصاحة والبلاغة ، وزوال الفقر ووجود الغنى وذهاب البلية ومجىء العافية ، وفى الجملة انكشاف الضر ومجىء النفع فليس بزاهد حقا لأن كل واحد من هذه الأشياء فيه لذة للنفس وموافقة الهوى وراحة الطبع وحب له ، وكل ذلك من الدنيا ومما يحبب البقاء فيها ويحصل السكون والطمأنينة إليها ، فينبغى أن يجاهد فى إخراج جميع ذلك عن القلب ، ويأخذ نفسه بإزالة ذلك وقلعه والرضا بالعدم والإفلاس والفقر الدائم ، فلا يبقى من ذلك مقدار مص نواة ليخلص زهده فى الدنيا ، فإذا تم له ذلك زالت الغموم والأحزان من القلب والكرب عن الحشا ؛ وجاءت الراحات والطيب والأنس بالله كما قال صلى الله عليه وسلم : «الزهد فى الدنيا يريح القلب والجسد» فما دام فى قلبه شىء من ذلك فالهموم والخوف والوجل قائم فى القلب والخذلان لازم له ، والحجاب عن الله عز وجل وعن قربه متكاثف متراكم فلا ينكشف جميع ذلك إلا بزوال حب الدنيا على الكمال وقطع العلائق بأثرها ، ثم يزهد فى الآخرة ، فلا يطلب الدرجات والمنازل العاليات

والحور والولدان والدور والقصور والبساتين والمراكب والخيل والحلى والمآكل والمشارب وغير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين ؛ فلا يطلب على عمله جزاء أو أجرا من الله عز وجل البتة لا دنيا ولا أخرى ، فحينئذ يجد الله عز وجل فيؤتيه حسابه تفضلا منه ورحمة ، فيقربه منه ويدنيه ويلطف به ويتعرف إليه بأنواع ألطافه وبره كما هو دأبه عز وجل مع رسله وأنبيائه وأوليائه وخواصه وأحبابه أولى العلم به عز وجل فيكون العبد كل يوم فى مزيد أمره مدة حياته . ثم ينتقل إلى دار الآخرة إلى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، مما تضيق عنه الأفهام وتعجز عن وصفه العبارات ، والله أعلم :

المقالة الخامسة والخمسون

فى ترك الحظوظ

قال رضى الله عنه وأرضاه : ترك الحظوظ ثلاث مرات :

الأولى يكون العبد مارا فى عشواه متخبطا فيه متصرفا بطبعه

تى جميع أحواله من غير تعبد لربه ولازم فى الشرع يرده ولا جده
من جدود ينتهى إليه عن حكمه ، فبينما هو على ذلك ينظر الله إليه
يعنى يرحمه ، فيبعث الله إليه واعظا من خلقه من عباده الصالحين
فينبهه ، ويثنيه بواعظ من نفسه ، فيتضافر الواعظان على نفسه
وطبعه ، فتعمل الموعظة عملها ، فتبين عندها عيب ماهى فيه
من ركوب مطية الطبع والمخالفة ، فتميل إلى الشرع فى جميع
تصرفاتها فيصير العبد مسلما قائما مع الشرع فانيا عن الطبع ،
فيترك حرام الدنيا وشبهاتها ومنن الخلق ، فيأخذ مباح الحق
عز وجل وحلال الشرع فى مأكله ومشربه وملبسه ومنكحه
ومسكنه وجميع مالا بد منه ، لتحتفظ البنية ويتقوى على طاعة
الرب عز وجل ، وليستوفى قسمه المقسوم له الذى لايتجاوزه
ولا سبيل إلى الخروج من الدنيا قبل تناوله والتلبس به واستيفائه
فيسير على مطية المباح والحلال بالشرع فى جميع أحواله إلى أن
تنتهى به هذه المطية إلى عتبة الولاية والدخول فى زمرة المحققين
والخواص أهل العزيمة مريدى الحق ، فيأكل بالأمر ، فحينئذ
يسمع نداء من قبل الحق عز وجل من باطنه : اترك نفسك

وتعال ، اترك الحظوظ والخلق إن أردت الخالق ، واخلع نعليك ، دنياك وآخرتك ، وتجرد عن الأكوان والموجودات وما سيوجد والأمانى بأسرها ، وتعر عن الجميع وافن عن الكل وتطيب بالتوحيد واترك الشرك وصدق الإرادة ، ثم ادخل وطء البساط بالأدب مطرقا ، لاتنظر يمينا إلى الآخرة ولا شمالا إلى الدنيا ولا إلى الخلق ولا إلى الحظوظ ، فإذا دخل فى هذا المقام ، وتحقق الوصول جاءت الخلعة من قبل الحق عز وجل ، وغشيته أنواع المعارف والعلوم وأنواع الفضل ، فيقال له : تلبس بالنعم والفضل ولاتسىء الأدب بالرد وترك التلبس ، لأن رد نعم الملك افتئاتا على الملك واستخفافا بحضرته ، وحينئذ يتلبس بالفضل والقسمة بالله من غير أن يكون هو فيه ومن قبل كأن يتلبس بهواه ونفسه فله أربع حالات فى تناول الحظوظ والأقسام .

الأولى بالطبع وهو الحرام : والثانية بالشرع وهو المباح والحلال . والثالثة بالأمر وهى حالة الولاية وترك الهوى ؛ والرابعة بالفضل وهى حالة زوال الإرادة وحصول البدلية

وكونه مرادا قائما مع القدر الذى هو فعل الحق وهى حالة العلم والاتصاف بالصلاح ، فلا يسمى صالحا على الحقيقة إلا وصل إلى هذا المقام ، وهو قوله تعالى (إن وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) فهو العبد الذى كفت يده عن جلب مصالحه ومنافعه وعن رد مضاره ومفاسده ، كالرضيع مع الظئر ؛ والميت الغسيل مع الغاسل ، فتتولى يد القدر تربيته من غير أن يكون له اختيار وتدبير ، فان عن جميع ذلك لا حالا ولامقاما ولاإرادة ، بل القيام مع القدرة ، تارة يبسط وتارة يغنى وتارة يفقر ، ولايختار ولايتمنى زوال ذلك وتغيره ، بل الرضى الدائم والموافقة الأبدية ، فهو آخر ماتنتهى إليه أحوال الأولياء قدست أسرارهم :

المقالة السادسة والخمسون

فى فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأمانى

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا فنى العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأمانى دنيا وأخرى ولم يرد إلا الله عز وجل وخرج الكل عن قلبه وصل إلى الحق ، واصطفاه واجتباه ، وأحبه وحببه إلى خلقه ، وجعله يحبه ويحب قربه ، ويتنعم بفضله ويتقلب فى نعمه وفتح عليه أبواب رحمته ، ووعده أن لايغلقها عنه أبدا ، فيختار العبد حينئذ الله ، ويدبر بتدبيره ويشاء بمشيئته ، ويرضى برضاه ويمتثل أمره دون غيره ، ولايرى لغيره عز وجل وجودا ولا فعلا ، فحينئذ يجوز أن يعده الله بوعد ثم لايظهر للعبد وفاء بذلك ، ولا يغير ماقد توهمه من ذلك ، لأن الغيرية قد زالت بزوال الهوى والإرادة فصار فى فعل الله عز وجل وإرادته فيصير الوعد حينئذ فى حقه مع الله عز وجل كرجل عزم على فعل شىء فى نفسه ونواه ثم صرفه إلى غيره كالناسخ والمنسوخ فيما أوحى

الله عز وجل إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل (مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) لما كان النبي صلى الله عليه وسلم منزوع الهوى والإرادة سوى المواضع التى ذكرها الله عز وجل فى القرآن من الأسر يوم بدر (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة — و — لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) كذا قالوا ، وغيره وهو مراد الحق عز وجل لم يترك على حالة واحدة بل نقله إلى القدر إليه فصرفه فى القدر وقلبه منها ، نبهه بقوله تعالى (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) يعنى أنك فى بحر القدر تقلبك أمواجه تارة كذا وتارة كذا ، فمنتهى أمر الولى ابتداء أمر النبي مابعد الولاية والبدلية إلا النبوة ، والله أعلم .

المقالة السابعة والخمسون

فى عدم المنازعة فى القدر والأمر بحفظ الرضا به

قال رضى الله عنه وأرضاه : الأحوال قبض كلها ؛ لأنه يؤمر الولى بحفظها وكل مايؤمر بحفظه فهو قبض ، والقيام مع القدر بسط كله ، لأنه ليس هناك شىء يؤمر بحفظه سوى كونه موجودا فى القدر ، فعليه أن لاينازع فى القدر بل يوافق ولا ينازع فى جميع ما يجرى عليه مما يحلو ويمر . الأحوال معدودة فأمر بحفظ حدودها ، والفضل الذى هو القدر غير محدود فيحفظ .

وعلامة أن العبد دخل فى مقام القدر والفعل والبسط أنه يؤمر بالسؤال فى الحظوظ بعد أن أمر بتركها والزهد فيها ، لأنه لما خلا باطنه من الحظوظ ولم يبق فيه غير الرب عز وجل بوسط فأمر بالسؤال والتشهى وطلب الأشياء التى هى قسمه ، ولا بد من تناولها والتوصل إليه بسؤاله ، ليتحقق كرامته عند الله عز وجل ومنزلته ، وامتنان الحق عز وجل عليه بإجابته إلى

ذلك ، والإطلاق بالسؤال فى عطاء الحظوظ من أكثر علامات البسط بعد القبض ، والإخراج من الأحوال والمقامات والتكليف فى حفظ الحدود :

فإن قيل : هذا يدل على زوال التكلف والقول بالزندقة والخروج من الإسلام ، ورد قوله عز وجل (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قيل لايدل على ذلك ولايؤدى إليه بل الله أكرم ووليه أعز عليه من أن يدخله فى مقام النقص والقبيح فى شرعه ودينه ، بل يعصمه من جميع ماذكر ويصرفه عنه ويحفظه وينبهه ويسدده لحفظ الحدود ، فتحصل العصمة وتتحفظ الحدود من تكليف منه ومشقة ، وهو عن ذلك فى غيبة فى القرب . قال عز وجل (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) وقال عز وجل (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وقال تعالى (إلا عباد الله المخلصين) يامسكين هو محمول الرب وهو مراده ، وهو يربيه فى حجر قربه ولطفه ، أنى يصل الشيطان إليه وتتطرق القبائح والمكاره فى الشرع نحوه ؟ أبعدت النجعة وأعظمت الفرية وقلت قولا فظيعا ، تبا لهذه الهمم الخسيسة الدنية والعقول الناقصة البعيدة والآراء الفاسدة المتخلخلة ،

أعاذنا الله والإخوان من الضلالة المختلفة بقدرته الشاملة ورحمته الواسعة ، وسترنا بأستاره التامة المانعة الحامية ، وربانا بنعمه السابغة وفضائله الدائمة بمنه وكرمه تعالى شأنه .

المقالة الثامنة والخمسون

فى صرف النظر عن كل الجهات

وطلب جهة فضل الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضاه : تقام عن الجهات كلها ولا تبصبص على شىء منها ، فما دمت تنظر إلى واحدة منها لا يفتح لك جهة فضل الله عز وجل وقربه ، فسدّ الجهات جميعا بتوحيده وإمحاء نفسك ثم فنائك ومحوك وعلمك ، فحينئذ يفتح عين قلبك جهة فضل الله العظيم ، فتراها بعينى رأسك إذ ذاك شعاع نور قلبك وإيمانك ويقينك فيظهر عند ذلك النور من باطنك على ظاهرك كنور الشمعة التى فى البيت المظلم فى الليلة الظلماء ، يظهر من كوى البيت ومنافذه فيشرق ظاهر البيت بنور باطنه ، فتسكن النفس والجوارح إلى وعد الله وعطائه عن عطاء غيره ووعد غيره عز وجل .

وارحم نفسك ولا تظلمها ولا تلقها فى ظلمات جهلك ورعونتك ، فتنظر إلى الجهات وإلى الخلق والحول والقوة والكسب والأسباب فتوكل إليها ، فتسد عنك الجهات ولم تفتح لك جهة فضل الله عز وجل عقوبة ومقابلة لشركك بالنظر إلى غيره عز وجل ، فإذا وجدته ونظرت إلى فضله ورجوته دون غيره وتعاميت عما سواه ، قربك وأدناك؛ ورحمك ورباك وأطعمك وسقاك ؛ وداواك وعافاك ؛ وأعطاك وأغناك ، فلا ترى بعد ذلك لافقرك ولاغناك .

المقالة التاسعة والخمسون

فى الرضا على البلية ، والشكر على النعمة

قال رضى الله عنه وأرضاه : لاتخلو حالتك إما أن تكون بلية أو نعمة ، فإن كانت بلية فتطالب فيها بالتصبر ، وهو الأدنى ، والصبر وهو أعلى منه ، ثم الرضا والموافقة ، ثم الفناء ، وهو للأبدال ، وإن كانت نعمة فتطالب فيها بالشكر عليها . والشكر باللسان والقلب والجوارح .

أما باللسان فالاعتراف بالنعمة أنها من الله عز وجل ، وترك الإضافة إلى الخلق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من الذين جرت على أيديهم ، لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها ، وإن قاسمها ومجريها وموجدها والشاغل فيها والمسبب لها هو الله عز وجل والقاسم هو الله والمجرى هو والموجد هو ، فهو أحق بالشكر من غيره .

لا نظر إلى الغلام الحمال للهدية إنما النظر إلى الأستاذ المنفذ المنعم بها قال الله تعالى فى حق من عدم هذا المنظر (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) فمن نظر إلى الظاهر والسبب ولم يجاوز علمه ومعرفته فهو الجاهل الناقص قاصر العقل ، إنما سمى العاقل عاقلا لنظره فى العواقب .

وأما الشكر بالقلب ، فبالاعتقاد الدائم ، والعقد الوثيق الشديد المنبرم .

إن جميع مابك من النعم والمنافع واللذات فى الظاهر والباطن فى حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره ، ويكون شكرك بلسانك معبرا عما فى قلبك. وقد قال عز وجل (ومابكم من نعمة فمن الله) وقال تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة

وباطنة) وقال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) فمع هذا لايبقى لمؤمن منعم سوى الله تعالى .

وأما الشكر بالجوارح فبأن تحركها وتستعملها فى طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق ، فلا تجيب أحدا من الخلق ، فيما فيه إعراض عن الله تعالى ، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأمانى وسائر الخليقة ، كجعل طاعة الله أصلا ومتبوعا وإماما وما سواها فرعا وتابعا ومأموما ، فإن فعلت غير ذلك كنت جائرا ظالما حاكما بغير حكم الله عز وجل الموضوع لعباده المؤمنين ، وسالكا غير سبيل الصالحين . قال الله عز وجل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وفى آية أخرى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وفى أخرى (هم الفاسقون) فيكون انتهاؤك إلى النار التى وقودها الناس والحجارة ، وأنت لاتصبر على حمى ساعة فى الدنيا وأقل بسطة وشرارة من النار فيها ، فكيف صبرك على الخلود فى الهاوية مع أهلها ، النجا النجا ، الوحا الوحا ، الله الله ، احفظ الحالتين وشروطهما ، فإنك لا تخلو فى جميع عمرك من أحديهما إما البلية وإما النعمة فأعط كل حالة حظها وحقها من الصبر والشكر

على ما بينت لك ، فلا تشكون في حالة البلية إلى أحد من خلق الله ، ولا تظهرن الضجر لأحد ولا تتهمن ربك في باطنك . ولا تشكن في حكمته واختر الأصلح لك في دنياك ، وآخرتك ، فلا تذهبن بهمتك إلى أحد من خلقه في معافاتك فذلك إشراك منك به عز وجل ، لا يملك معه عز وجل في ملكه أحد شيئا لا ضار ولا نافع ولا دافع ، ولا جالب ولا مسقم ولا مبلى ، ولا معاف ولا مبرىء غيره عز وجل ، فلا تشتغل بالخلق لا في الظاهر ولا في الباطن ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، بل الزم الصبر والرضا والموافقة والفناء في فعله عز وجل ، فإن حرمت ذلك كله فعليك بالاستغاثة إليه عز وجل ، والتضرع والتظلم من شؤم النفس ، ونزاهة الحق عز وجل والاعتراف له بالتوحيد بالنعيم ؛ والتبرى من الشرك ، وطلب الصبر والرضا والموافقة ، إلى حين يبلغ الكتاب أجله ، فتزول البلية وتنكشف الكربة ، وتأتى النعمة والسعة والفرحة والسرور ، كما كان في حق نبي الله أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأشرف السلام ، كما يذهب سواد الليل ويأتى بياض النهار ، ويذهب برد الشتاء ويأتى نسيم الصيف وطيبه ، لأن لكل شيء ضدا

وخلافا وغاية وبدءا و منتهى ، فالصبر مفتاحه و ابتداؤه و انتهاؤه وجماله كما جاء فى الخبر « الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد » وفى لفظ « الصبر الإيمان كله » وقد يكون الشكر هو التلبس بالنعم وهى أقسامه المقسومة لك ، فشكرك التلبس بها فى حال فنائك ، وزوال الهوى والحمية والحفظ ، وهذه حالة الأبدال وهى المنتهى ، اعتبر ما ذكرت لك ترشد إن شاء الله تعالى .

المقالة الستون فى البداية والنهاية

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : البداية هى الخروج من المعهود إلى المشروع ثم المقدور ، ثم الرجوع إلى المعهود . ويشترط حفظ الحدود ، فتخرج من معهودك من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمسكون والطبع والعادة إلى أمر الشرع ونهيه ، فتتبع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فتفنى عن هـواك ونفسك ورعونتها فى ظاهرك وباطنك ،

فلا يكون فى باطنك غير توحيدك له و فى ظاهرك غير طاعة الله و عبادته مما أمر ونهى ، فيكون هذا دأبك وشعارك ودثارك فى حركتك وسكونك ، فى ليلك ونهارك ، وسفرك وحضرك ، وشدتك ورخائك ، وصحتك وسقمك ، وأحوالك كلها ، ثم تحمل إلى وادى القدر فيتصرف فيك القدر ، فتفنى عن جدك واجتهادك وحولك وقوتك ، فتساق إليك الأقسام التى جف بها القلم وسبق بها العلم ، فتلبس بها وتعطى منها الحفظ والسلامة فتحفظ فيها الحدود ويحصل فيها الموافقة لفعل المولى ، ولا تنخرق قاعدة الشرع إلى الزندقة وإباحة المحرم قال الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فتصحب الحفظ والحمية وإنما هى أقسامك معدة لك ، فحبسها عنك فى حال سيرك وطريقك وسلوكك فيافى الطبع ومفاوز الهوى المعهود ، لأنها أثقال أحمال ما زيحت عنك ؛ لئلا يثقلك فتضعفك إلى حين الوصول إلى عتبة الفناء ، وهو الوصول إلى قرب الحق عز وجل والمعرفة به ، والاختصاص بالأسرار والعلوم الدينية ، والدخول فى بحار الأنوار ، حيث لا تضر ظلمة الطبائع الأنوار ، فالطبع باق

إلى أن تفارق الروح الجسد لاستيفاء الأقسام ، إذ لو زال الطبع من الآدمى لالتحق بالملائكة وبطلت الحكمة ؛ فبقى الطبع يستوفى الأقسام والحظوظ ، فيكون ذلك وظائفا لا أصليا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « حبب إلىّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة » فلما فنى النبى صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وما فيها ردت إليه أقسامه المحبوسة عنه فى حال سيره إلى ربه عز وجل ، فاستوفاها موافقة لربه تعالى والرضا بفعله ممتثلا لأمره ، فقدست أسماؤه وعمت رحمته : شمل فضله لأوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، فهكذا الولى فى هذا الباب ترد إليه أقسامه وحظوظه مع حظ الحدود ، فهو الرجوع من النهاية إلى البداية ، والله أعلم .

المقالة الحادية والستون

فى التوقف عند كل شىء حتى يتبين له إباحة فعله

قال رضى الله عنه وأرضاه : كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش عند حضور الأقسام عن التناول والأخذ ، حتى يشهد

له الحكم بالإجابة ، والعلم بالقسمة ، والمؤمن فتاش والمنافق لقاف . وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن وقاف » وقال صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » فالمؤمن يقف عند كل قسم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وسائر الأشياء التي تفتح له فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ والتناول كحكمه إذا كان فى حالة التقوى . أو حتى يحكم له بذلك الأمر إذا كان فى حالة الولاية . أو حتى يحكم بحكم العلم فى حالة البدلية والغوثية ، والفعل الذى هو القدر المحض وهى حالة الفناء ، ثم تأتيه حالة أخرى تتناول كل ما يأتيه ويفتح له ما لم يعترض عليه الحكم والأمر والعلم ، فإذا اعترض أحد هذه الأشياء امتنع من التناول ، فهى ضد الأولى :

فى الأولى الغالب عليه التوقف والتثبت . وفى الثانية الغالب عليه التناول والأخذ والتلبس بالمفتوح . ثم تأتى الحالة الثالثة .

فالتناول المحض والتلبس بما يفتح من النعم من غير اعتراض أحد الأشياء الثلاثة وهى حقيقة الفناء ، فيكون المؤمن فيها محفوظا من الآفات وخرق حدود الشرع مصانا مصروفا عنه

الأسواء ، كما قال الله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فيصير العبد مع الحفظ عن خرق الحدود كالمقرض إليه المأذون له والمطلق له فى الإباحات الميسر له الخير ، ما يأتيه قسمه المصفى له من الآفات والتبعات فى الدنيا والآخرة ، والموافق لإرادة الحق ورضاه وفعله ولا حالة فوقها وهى الغاية ، وهى السادة الأولياء الكبار الخلص أصحاب الأسرار ، الذين أشرفوا على عتبة أحوال الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين :

المقالة الثانية والستون

فى المحبة والمحبوب وما يجب فى حقهما

قال رضى الله عنه وأرضاه : ما أكثر ما يقول المؤمن قرب فلان وبعدت ، وأعطى فلان وحرمت ، وأغنى فلان وأفقرت وعوفى فلان وأسقمت ، وعظم فلان وحقرت ، وحمد فلان وذممت ، وصدق فلان وكذبت : أما يعلم أنه الواحد : وأن الواحد يحب الوحدانية فى المحبة ، ويحب الواحد فى محبته :

إذا قربك بطريق غيره نقصت محبتك له عز وجل وشعبت
فربما دخلك الميل إلى من ظهرت المواصلة والنعمة على يديه ،
فتنقص محبة الله فى قلبك ، وهو عز وجل غيور لا يحب شريكا
فكف أيدى الغير عنك بالمواصلة ولسانه عن حمدك وثنائك
ورجليه عن السعى إليك كيلا تشتغل به عنه ، أما سمعت قول
النبى صلى الله عليه وسلم « جبلت القلوب على حب من أحسن
إليها » فهو عز وجل يكف الخلق عن الإحسان إليك من كل
وجه وسبب حتى توحده وتحبه ، ونصير له من كل وجه بظاهرك
وباطنك فى حركاتك وسكناتك ، فلا ترى الخير إلا منه ولا
الشر إلا منه عز وجل ، وتفنى عن الخلق وعن النفس ، وعن
الهوى والإرادة والمنى ، وعن جميع ما سوى المولى ، ثم يطلق
الأيدى إليك بالبسط والبذل والعطاء ، والألسن بالحمد والثناء
فيدللك أبدا فى الدنيا ثم فى العقبى ، فلا تسىء الأدب ، انظر
إلى من ينظر إليك ، وأقبل على من أقبل إليك ، وأحب من
يحبك واستجب من يدعوك وأعط يدك من يثبتك من سقطك
ويخرجك من ظلمات جهلك ، وينجيك من هلاكك ويغسلك من
نجاسك ، وينظفك من أوساخك ، ويخلصك من جيفك

ونتنك ، ومن أوهامك الردية ، ومن نفسك الأمارة بالسوء وأقرانك الضلال المضلين شياطينك ، وأخلائك الجهال قطاع طريق الحق الحائلين بينك وبين كل نفيس وثمين وعزيز .

إلى متى المعاد ، إلى متى الحق ، إلى متى الهوى ، إلى متى الرعونة إلى متى الدنيا ، إلى متى الآخرة ، إلى متى سوى المولى ؟ أين أنت من خالقك والأشياء ، المكون الأول الآخر الظاهر الباطن، والمرجع والمصدر إليه ، وله القلوب وطمأنينة الأرواح ومحط الأثقال والعطاء والامتنان ، عز شأنه .

المقالة الثالثة والستون

فى نوع من المعرفة

قال رضى الله عنه وأرضاه : رأيت فى المنام كأنى أقول يامشرك بربه فى باطنه بنفسه وفى ظاهره بخلقه وفى عمله بإرادته ، فقال رجل إلى جنبى ماهذا الكلام؟ فقلت هذا نوع من المعرفة .

المقالة الرابعة والستون

فى الموت الذى لا حياة فيه ، والحياة التى لا موت فيها

قال رضى الله عنه وأرضاه : ضاق بى الأمر يوما فتحرك فى النفس ، فقيل لى : ماذا تريد ؟ فقلت أريد موتا لا حياة فيه وحياة لاموت فيها؟ فقيل لى : ما الموت الذى لاحياة فيه وما الحياة التى لا موت فيها؟ قلت الموت الذى لاحياة فيه موتى عن جنسى من الخلق فلا أراهم فى الضر والنفع ، وموتى عن نفسى وهواى وإرادتى ومنائى فى الدنيا والأخرى فلا أحس فى جميع ذلك ولا أجد .

وأما الحياة التى لا موت فيها : فحياتى بفعل ربى عز وجل بلا وجودى فيه ، والموت فى ذلك وجودى معه عز وجل ، فكانت هذه الإرادة أنفس إرادة أردتها منذ عقلت ،

المقالة الخامسة والستون

فى النهى عن التسخط على الله فى تأخير إجابة الدعاء

قال رضى الله عنه وأرضاه: ماهذا التسخط على ربك عز وجل من تأخير إجابة الدعاء ؟ تقول حرم على السؤال للخلق وأوجب على السؤال وأنا أدعوه وهو لا يجيبنى فيقال لك أحر أنت أم عبد فإن قلت أنا حر فأنت كافر وإن قلت أنا عبد لله ، فيقال لك أمتهم أنت لوليك فى تأخير إجابة دعائك وشاك فى حكمته ورحمته بك وبجميع خلقه وعلمه بأحوالهم أو غير متهم له عز وجل ؟ فإن كنت غير متهم له ومقر بحكمته وإرادته ومصلحته لك وتأخير ذلك فعليك بالشكر له عز وجل ، لأنه اختار لك الأصلح والنعمة ودفع الفساد ، وإن كنت متهما له فى ذلك فأنت كافر بتهمتك له ، لأنك بذلك نسبت له الظ وهو ليس بظلام للعبيد ، لا يقبل الظلم ويستحيل عليه أن يظلم إذ هو مالك ومالك كل شىء ، فلا يطلق عليه اسم الظلم ، وإنما الظالم من يتصرف فى ملك غيره بغير إذنه فانسد عليك

سبيل التسخط عليه فى فعله فيك بما يخالف طبعك وشهوة نفسك وإن كان فى الظاهر مفسدة لك :

فعليك بالشكر والصبر والموافقة ، وترك التسخط والتهمة والقيام مع رعونة النفس وهواها الذى يضل عن سبيل الله :

وعليك بدوام الدعاء وصدق الالتجاء ، وحسن الظن بربك عز وجل ، وانتظار الفرج منه ، والتصديق بوعده ، والحياء منه ، والموافقة لأمره ، وحفظ توحيده والمسارعة إلى أداء أوامره ، والتماوت عن نزول قدره بك وبفعله فيك ، وإن كان لابد أن تتهم وتسيء الظن فنفسك الأمارة بالسوء العاصية لربها عز وجل أولى بهما ، ونسبتك الظلم إليها أحرى من مولاك . فاحذر موافقتها وموالاتها ، والرضى بفعلها وكلامها فى الأحوال كلها ، لأنها عدوة الله وعدوتك ، وموالية لعدو الله وعدوك الشيطان الرجيم ، هى خليلته وجاسوسته ومصافيته ، الله الله ثم الله ، الحذر الحذر النجا النجا ، اتهمها وانسب الظلم إليها واقرأ عليها قوله عز وجل (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) وقوله عز وجل (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) وغيرها من الآيات والأخبار :

كن مخاصما لله على نفسك مجادلا لها عنه عز وجل ، ومحاربا وسيافا وصاحب جنده وعسكره، فإنها أعدى عدو الله عز وجل، قال الله تعالى : يا داود اهجر هواك فإنه لا منازع ينازعنى فى ملكى غير الهوى .

المقالة السادسة والستون

فى الأمر بالدعاء ، والنهى عن تركه

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا تقل لا أدعو الله ، فإن كان ما أسأله مقسوما فسيأتى إن سألته أم لم أسأله ، وإن كان غير مقسوم فلا يعطينى بسؤال، بل أسأله عز وجل جميع ما تريد وتحتاج إليه من خير الدنيا والآخرة ما لم يكن فيه محرم ومفسدة لأن الله تعالى أمر بالسؤال له وحث عليه :

قال تعالى (ادعونى أستجب لكم) وقال عز وجل (واسئلوا الله من فضله ـ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) قال النبى صلى الله عليه وسلم « اسألوا الله وأنتم موقنون بالإجابة » وقال صلى الله عليه وسلم « اسألوا الله ببطون أكفكم » وغير

ذلك من الأخبار . ولا تقل إنى أسأله فلا يعطينى فإذا لا أسأله، بل دم على دعائه ، فإن كان ذلك مقسوما ساقه إليك بعد أن تسأله ، فيزيد ذلك إيمانا ويقينا وتوحيدا ، وترك سؤال الخلق والرجوع إليه فى جميع أحوالك وإنزال حوائجك به عز وجل ، وإن لم يكن مقسوما لك أعطاك الغناء عنه والرضاء عنه عز وجل بالقصص . فإن كان فقرا أو مرضا أرضاك بهما وإن كان دينا قلب الدائن من سوء المطالبة إلى الرفق والتأخر والتسهيل إلى حين ميسرتك أو إسقاطه عنك أو نقصه ، فإن لم يسقط ولم يترك منه فى الدنيا أعطاك عز وجل ثوابا جزيلا ما لم يعطك بسؤلك فى الدنيا ، لأنه كريم غنى رحيم ، فلا يخيب سائله فى الدنيا والآخرة فلابد من فائدة، ونائلة إما عاجلا وإما آجلا ، فقد جاء فى الحديث « المؤمن يرى فى صحيفته يوم القيامة حسنات لم يعملها ولم يدربها فيقال له أتعرفها؟ فيقول ما أعرفها من أين لى هذه ؟ فيقال له إنها بدل مسألتك التى سألتها فى دار الدنيا » وذلك أنه بسؤال الله عز وجل يكون ذاكراً لله وموحدا وواضع الشىء فى موضعه ، ومعطى الحق أهله ، ومتبرئا من حوله وقوته ، وتاركا للتكبر والتعظم والأنفة ، وجميع ذلك أعمال صالحة ثوابها عند الله عز وجل .

المقالة السابعة والستون

فى جهاد النفس وتفصيل كيفيته

قال رضى الله عنه وأرضاه : كلما جاهدت نفسك وغلبتها وقتلتها بسيف المخالفة أحياها الله ، ونازعتك وطلبت منك الشهوات واللذات الجناح منها والمباح ، لتعود إلى المجاهدة والمسابقة ليكتب لك ثوابا دائما ، وهو معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » أراد مجاهدة النفس لدوامها واستمرارها على الشهوات واللذات ، وانهماكها فى المعاصى ، وهو معنى قوله عز وجل (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أمر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بالعبادة وهى مخالفة النفس ، لأن العبادة كلها تأباها النفس وتريد ضدها إلى أن يأتيه اليقين يعنى الموت .

فإن قيل : كيف تأبى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة وهو عليه الصلاة والسلام لا هوى له (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) فيقال إنه عز وجل خاطب

نبيه صلى الله عليه وسلم ليتقرر به الشرع فيكون عاما بين أمته إلى أن تقوم الساعة . ثم إن الله عز وجل أعطى نبيه عليه الصلاة والسلام القوة على النفس والهوى ، كيلا يضراه ويحوجاه إلى المجاهدة ، بخلاف أمته ، فإذا دام المؤمن على هذه المجاهدة إلى أن يأتيه الموت ويلحق بربه عز وجل بسيف مسلول ملطخ بدم النفس والهوى أعطاه ما ضمن له من الجنة ، لقوله عز وجل (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) فإذا أدخله الجنة وجعلها داره ومقره ومصيره ، أمن من التحويل عنها والانتقال إلى غيرها والعود إلى دار الدنيا جدد له كل يوم وكل ساعة من أنواع النعيم وتغير عليه أنواع الحال والحلى إلى ما لا نهاية له ولا غاية ولا نفاد ، كما جدد هو فى الدنيا كل يوم وكل ساعة ولحظة مجاهدة النفس والهوى .

وأما الكافر والمنافق والعاصى لما تركوا مجاهدة النفس والهوى فى الدنيا وتابعوها ، ووافقوا الشيطان تمرجوا فى أنواع المعاصى من الكفر والشرك وما دونهما حتى أتاهم الموت من غير الإسلام والتوبة ، أدخلهم الله النار التى أعدت للكافرين فى قوله عز وجل (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) فإذا

أدخلهم فيها وجعلها مقرهم ومصيرهم وأمهم ، فأحرقت جلودهم ولحومهم جدد لهم عز وجل جلودا ولحوما كما قال عز وجل (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) يفعل عز وجل بهم ذلك كما وافقوا أنفسهم وأهواءهم فى الدنيا فى معاصيه عز وجل ، فأهل النار تجدد لهم كل وقت جلود ولحوم لإيصال العذاب والآلام إليهم ، وأهل الجنة يجدد لهم كل وقت نعيم لتضاعف الشهوات واللذات لديهم . وسبب ذلك مجاهدة النفس وعدم موافقتها فى دار الدنيا وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الدنيا مزرعة الآخرة » .

المقالة الثامنة والستون

فى قوله تعالى : كل يوم هو فى شأن

قال رضى الله عنه وأرضاه : إذا أجاب الله عبدا ما سأله وأعطاه ما طلبه لم تنخرم إرادته ولا ما جف به القلم وسبق به العلم ، لكنه يوافق سؤاله مراد ربه عز وجل فى وقته ، فتحصل الإجابة وقضاء الحاجة فى الوقت المقدر الذى قدره له

فى السابقة لبلوغ القدر وقته كما قال أهل العلم فى قوله عز وجل : (كل يوم هو فى شأن) أى يسوق المقادير إلى المواقيت ، فلا يعطى الله أحدا شيئا فى الدنيا بمجرد دعائه ، وكذلك لا يصرف عنه شيئا بدعائه المجرد ، والذى ورد فى الحديث « لا يرد القضاء إلا الدعاء » قيل إن المراد به لا يرد القضاء إلا الدعاء الذى قضى أن يرد لقضائه ، وكذلك لا يدخل أحد الجنة فى الآخرة بعمله ، بل برحمة الله عز وجل ، لكنه يعطى العباد فى الجنة الدرجات على قدر أعمالهم .

وقد ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها « أنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم هل يدخل أحد الجنة بعمله ؟ فقال لا برحمة الله ، فقالت ولا أنت ؟ فقال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته ووضع يده على هامته » وذلك لأن الله عز وجل لا يجب عليه لأحد حق ولا يلزمه الوفاء بالعهد ، بل يفعل ما يريد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ، ويرحم من يشاء ، فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ، يرزق من يشاء بغير حساب بفضل رحمته ومنته ، ويمنع من شاء بعدله ، وكيف لا يكون كذلك والخلق من لدن العرش إلى الثرى التى هى الأرض

السابعة السفلى ملكه وصنعه ، لا مالك لهم غيره ولا صانع لهم غيره ، قال عزوجل (هل من خالق غير الله) وقال تعالى (أءله مع الله) وقال تعالى (هل تعلم له سميا) وقال تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير : تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب)؛

المقالة التاسعة والستون

فى الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من الله تعالى .

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا تطلبن من الله شيئا سوى المغفرة للذنوب السابقة والعصمة منها فى الأيام الآتية اللاحقة ، والتوفيق لحسن الطاعة ، وامتثال الأمر والرضاء بمر القضاء ، والصبر على شدائد البلاء ، والشكر على جزيل النعماء والعطاء ، ثم الوفاة بخاتمة الخير ، واللحوق بالأنبياء والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقا ولا تطلب منه الدنيا ولا كشف الفقر والبلاء إلى الغناء والعافية ، بل الرضا بما قسم ودبر ، واسأله الحفظ الدائم على ما أقامك فيه وأحلك وابتلاك ، إلى أن ينقلك منه إلى غيره وضده ، لأنك لا تعلم الخير فى أيهما ، فى الفقر أو فى الغناء ، فى البلاء أو فى العافية ؛ طوى عنك علم الأشياء وتفرد هو عز وجل بمصالحها ومفاسدها .

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا أبالى على أى حال أصبح ، على ما أكره أو على ما أحب ، لأنى لا أدرى الخير فى أيهما . قال ذلك لحسن رضاه بتدبير الله عز وجل ، والطمأنينة على اختياره وقضائه . قال الله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لاتعلمون).

كن على هذا الحال إلى أن يزول هواك وتنكسر نفسك فتكون ذليلة مغلوبة تابعة ثم تزول إرادتك وأمانيك ، وتخرج الأكوان من قلبك ولا يبقى فى قلبك شىء سوى الله تعالى ، فيمتلئ قلبك بحب الله تعالى ، وتصدق إرادتك فى طلبه عز وجل فيرد إليك الإرادة بأمره بطلب حظ من الحظوظ دنيوية

وأخروية ، فحينئذ تسأله عز وجل بذلك وتطلبه ممتثلا لأمره ، إن أعطاك شكرته وتلبست به ، وإن منعك لم تتسخط عليه ولم تتغير عليه فى باطنك ولا تتهمه فى ذلك ببخل ، لأنك لم تكن طلبته بهواك وإرادتك ، لأنك فارغ القلب عن ذلك غير مريد له ، بل ممتثلا لأمره بالسؤال والسلام .

المقالة السبعون

فى الشكر والاعتراف بالتقصير

قال رضى الله عنه وأرضاه :

كيف يحسن منك العجب فى أعمالك ورؤية نفسك فيها وطلب الأعواض عليها : وجميع ذلك بتوفيق الله تعالى وعونه وقوته وإرادته وفضله ، وإن كان ترك معصيته فبعصمته وحفظه وحميته .

أين أنت من الشكر على ذلك والاعتراف بهذه النعم التى أولاكها ، ما هذه الرعونة والجهل ، تعجب بشجاعة غيرك وسخائه وبذل ماله إذا لم تكن قاتلا بعودك إلا بعد معاونة شجاع

ضرب فى عدوك ثم تمنيت قتله ، لولاه كنت مصروعا مكانه وبدله ، ولا باذلا لبعض مالك إلا بعد ضمان صادق كريم أمين ضمن لك عوضه وخلفه ، لولا قوله وطمعك فيما وعد لك وضمن لك ما بذلت حبة منه ، كيف تعجبك بمجرد فعلك :

أحسن حالك الشكر والثناء على المعين والحمد لله الدائم وإضافة ذلك إليه فى الأحوال كلها إلا الشر والمعاصى واللوم ، فإنك تضيفها إلى نفسك وتنسبها إلى الظالم وسوء الأدب وتتهمها به ، فهى أحق بذلك لأنها مأوى لكل شر وأمارة بكل سوء وداهية وإن كان هو عز وجل خالقك وخالق أفعالك مع كسبك ، أنت الكاسب وهو الخالق كما قال بعض العلماء بالله عز وجل : تجىء ولا بد منك ، وقوله صلى الله عليه وسلم « اعملوا وقاربوا وسددوا فكل ميسر لما خلق له » .

المقالة الحادية والسبعون

فى المريد والمراد

قال رضى الله عنه وأرضاه : لا يخلو إما أن تكون مريدا أو مرادا :

فإن كنت مريدا فأنت محمل وحمال يحمل كل شديد وثقيل ، لأنك طالب ، والطالب مشقوق عليه حتى يصل إلى مطلوبه ويظفر بمحبوبه ويدرك مرامه ، ولا ينبغى لك أن تنفر من بلاء ينزل بك فى النفس والمال والأهل والولد ، إلى أن يحط عنك الأعمال ، ويزال عنك الأثقال ، ويرفع عنك الآلام ويزال عنك الأذى والإذلال ، فتصان عن جميع الرذائل والأدران والأوساخ والمهانات والافتقار إلى الخليقة والبريات ، فتدخل فى زمرة المحبوبين المدللين المرادين ؛

وإن كنت مرادا فلا تتهمن الحق عز وجل فى إنزال البلية بك أيضا ، ولا تشكن فى منزلتك وقدرك عنده عز وجل ،

لأنه قد يبتليك ليبلغك مبلغ الرجال ، ويرفع منزلتك إلى منازل الأولياء والأبدال .

أتحب ما يحط منزلتك عن منازلهم ودرجاتك عن درجاتهم وأن تكون خلعتك وأنوارك ونعيمك دون مالهم ، فإن رضيت أنت بالدون فالحق عز وجل لا يرضى لك بذلك : قال الله تعالى (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) يختار لك الأعلى والأسنى والأرفع والأصلح وأنت تأبى .

فإن قلت : كيف يصلح ابتلاء المراد مع هذا النعيم والبيان مع أن الابتلاء إنما هو للمحب ، والمدلل إنما هو المحبوب .

يقال لك ذكرنا الأغلب أولا وسمرنا بالنادر الممكن ثانيا .

لا خلاف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سيد المحبوبين وكان أشد الناس بلاء ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لقد خفت في الله ما لا يخافه أحد ، ولقد أوذيت في الله ما لم يؤذه أحد ، ولقد أتى على ثلاثون يوما وليلة وما لنا طعام إلا شيء يواريه إبط بلال » وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنا معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أعرفكم بالله

وأشدكم منه خوفا ، فكيف يبتلى المحبوب ويخوف المدلل المراد ولم يكن ذلك إلا بما أشرنا إليه من بلوغ المنازل العالية فى الجنة لأن المنازل فى الجنة لا تشيد ولا ترفع بالأعمال فى الدنيا :

الدنيا مزرعة الآخرة ، وأعمال الأنبياء والأولياء بعد أداء الأوامر وانتهاء النواهى الصبر والرضا والموافقة فى حالة البلاء كشف عنهم البلاء ويواصلون بالنعيم والفضل والدلال واللقاء أبد الآباد ، والله أعلم .

المقالة الثانية والسبعون

فيمن إذا دخل الأسواق ومال إلى ما فيها ومن إذا دخلها وصبر

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه : الذين يدخلون الأسواق من أهل الدين والنسك فى خروجهم إلى أداء ما أمر الله تعالى من صلاة الجمعة والجماعة وقضاء حوائج تسنح لهم على أضرب :

منهم من إذا دخل السوق ورأى فيه من أنواع الشهوات

واللذات تقيد بهما وعلقت بقلبه فتن ، وكان ذلك سبب هلاكه وتركه دينه ونسكه ورجوعه إلى موافقة طبعه واتباع هواه إلا أن يتداركه الله عز وجل برحمته وعصمته وإصباره إياه عنها فيسلم .

ومنهم من إذا رأى ذلك كاد أن يهلك بها رجع إلى عقله ودينه وتصبر وتجرع مرارة تركها ، فهو كالمجاهد ينصره الله تعالى على نفسه وطبعه وهواه ، ويكتب له الثواب الجزيل في الآخرة :

كما جاء في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يكتب للمؤمنين بترك شهوة عند العجز عنها أو عند المقدرة سبعون حسنة » أو كما قال .

ومنهم من يتناولها ويتلبس بها ويحصلها بفضل نعمة الله عز وجل التي عنده من سعة الدنيا والمال ، ويشكر الله عز وجل عليها .

ومنهم من لا يراها ولا يشعر بها ، فهو أعمى عن ما سوى الله عز وجل ؛ فلا يرى غيره ، وأصم عما سواه فلا يسمع من غيره ، عنده شغل عن النظر إلى غير محبوبه واشتهائه ، فهو

فى معزل عما العالم فيه فإذا رأيته وقد دخل السوق فسألته عما رأى فى السوق يقول ما رأيت شيئا . نعم قد رأى الأشياء لكن قد رآها ببصر رأسه لا ببصر قلبه ، ونظرة فجاءة لا نظرة شهوة ، نظر صورة لا نظر معنى ، نظر الظاهر لا نظر الباطن ، فبظاهره ينظر إلى ما فى السوق وبقلبه ينظر إلى ربه عز وجل ، إلى جلاله تارة وإلى جماله تارة أخرى .

ومنهم من إذا دخل السوق امتلأ قلبه بالله عز وجل رحمة لهم ، فتشغله الرحمة لهم عن النظر إلى ما لهم وبين أيديهم فهو من حين دخوله إلى حين خروجه فى الدعاء والاستغفار والشفاعة لأهله والشفقة والرحمة عليهم ولهم ، رعينه مغزورة ولسانه فى ثناء وحمد لله عز وجل بما أولى الكافة من نعمه وفضله فهذا يسمى شحنة البلاد والعباد ، وإن شئت سميته عارفا وبدلا وزاهدا وعالما غيبا وبدلا محبوبا مرادا ونائبا فى الأرض على عباده ، وسفيرا وجهبذا ونفاذا وهاديا ومهديا ودالا ومرشدا فهذا هو الكبريت الأحمر وبيضة العقعق ، رضوان الله عليه وعلى كل مؤمن مريد لله وصل إلى انتهاء المقام ، والله الهادى .

المقالة الثلثة والسبعون

فى قسم من الأولياء قد يطلعه الله على عيوب غيرهم

قال رضى الله عنه وأرضاه :

قد يطلع الله تعالى وليه على عيوب غيره وكذبه ودعوته وشركه فى أفعاله وأقواله وإضماره ونيته ، فيغار ولى الله لربه ولرسوله ودينه فيشتد غضب باطنه ثم ظاهره حاضرا وغائبا ، كيف يدعى السلامة مع العلل والأوجاع الباطنة والظاهرة ؟ وكيف يدعى التوحيد مع الشرك ، والشرك كفر وبعد عن قرب الله وهو صفة العدو والشيطان اللعين ، والمنافقين المقطوع لهم بالدرك الأسفل من النار والخلود فيها فيجرى على لسان الولى ذكر عيوبه وأفعاله الخبيثة ووقاحته بعريض دعاويه أحوال الصديقين ومزاحمته للفانين فى قدر الله وفعله ، والمراد من على وجه الغيرة لله عز وجل ، مرة على وجه الإنكار له والموعظة له أخرى ، وعلى وجه الغلبة بفعل الله عز وجل وإرادته وشدة غضبه على الكذب أخرى فيضاف إلى الله عز وجل غيبة ،

فيقال أيغتاب الولى وهو يمنع منها أو يذكر للغائب والحاضر بما يظهر عند الخواص والعوام ؟ فيصير ذلك الإنكار فى حقهم كما قال الله عز وجل (وإثمهما أكبر من نفعهما) فى الظاهر إنكار المنكر وفى الباطن إسخاط الرب والاعتراض عليه فيصير حاله الحيرة ، فيكون فرضه فيها السكوت والتسليم وطلب المساعى لذلك فى الشرع ، والجواز لا الاعتراض على الرب والولى يطعنان لافترائه وكذبه ، وقد يكون ذلك سببا لإقلاعه وتوبته ورجوعه عن جهله وحيرته ؛ فيكون كرها للولى نفعا للمغرور الهالك بغروره ورعونته . (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) :

المقالة الرابعة والسبعون

فيما ينبغى للعاقل أن يستدل به على وحدانية الله تعالى

قال رضى الله عنه وأرضـــاه : أول ما ينظر العاقل فى صفة نفســه وتركيبه ، ثم فى جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعهـا ، لأن

فيه دلالة على الصانع وفى القدرة المحكمة آية على الحكيم ؛ فإن الأشياء كلها موجودة به :

وفى معناه ما ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه) فقال فى كل شىء اسم من أسمائه واسم كل شىء من اسمه ، فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله ، باطن بقدرته وظاهر بحكمته ، ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال ، وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات ، وأخفى الصنع والصنيعة وأظهر الصنعة بالإرادة ، فهو باطن فى غيبه وظاهر فى حكمته وقدرته (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) .

ولقد أظهر فى هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح ، أمره برفع يد العصمة اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، أنالنا الله تعالى بركاتهم وحشرنا فى زمرتهم وحرمتهم آمين .

المقالة الخامسة والسبعون

فى التصوف وعلى أى شىء مبناه

قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه :

أوصيك بتقوى الله وطاعته، ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر ، وسخاء النفس ، وبشاشة الوجه ، وبذل الندى ، وكف الأذى، وتحمل الأذى والفقر ، وحفظ حرمات المشايخ والعشرة مع الإخوان ، والنصيحة للأصاغر والأكابر، وترك الخصومة. والإرفاق، وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار، وترك صحبة من ليس من طبقتهم ، والمعاونة فى أمر الدين والدنيا .

وحقيقة الفقر أن لا تفتقر على من هو مثلك وحقيقة الغنى أن تستغنى عمن هو مثلك .

والتصوف ليس أخذ عن القيل والقال ولكن أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات ، ولابتداء الفقير بالعلم وإبدائه بالرفق ، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه .

والتصوف مبنى على ثمان خصال (السخاء) لسيدنا إبراهيم

عليه السلام (والرضا) لإسحق عليه السلام (والصبر) لأيوب عليه السلام (والإشارة) لزكريا عليه السلام (والغربة) ليحيي عليه السلام (والتصوف) لموسى عليه السلام (والسياحة) لعيسى عليه السلام (والفقر) لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل وصحب كل وسلم أجمعين .

المقالة السادسة والسبعون فى الوصية

قال رضى الله عنه وأرضاه : أوصيك أن تصحب الأغنياء بالتعزز ، والفقراء بالتذلل ، وعليك بالتذلل والإخلاص ، وهو دوام رؤية الخالق ، ولا تتهم الله فى الأسباب واستكن إليه فى جميع الأحوال ، ولا تضع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه من المودة .

وعليك بصحبة الفقراء بالتواضع وحسن الأدب والسخاء ، وأمت نفسك حتى تحيي ، وأقرب الخلق من الله تعالى أوسعهم خلقا ، وأفضل الأعمال : رعاية السر عن الالتفات إلى ماسوى الله تعالى .

وعليك بالحق والصبر ، وحسبك من الدنيا شيئان : صحبة فقير وخدمة ولى ، والفقير هو الذى لا يستغنى بشىء دون الله تعالى :

والصولة على من هو دونك ضعف ، وعلى من هو فوقك فخر ، وعلى من هو مثلك سوء خلق .

والفقر والتصوف جدان فلا تخلطهما بشىء من الهزل ، وفقنا الله وإياكم والمسلمين آمين .

يا ولى عليك بذكر الله فى كل حال فإنه للخير جامع . وعليك بالاعتصام بحبل الله فإنه للمضار دافع . وعليك بالتأهب لتلقى موارد القضاء فإنه واقع :

واعلم أنك مسئول عن حركاتك وسكناتك ، فاشتغل بما هو أولى فى الوقت وإياك وفضول تصرفات الجوارح .

وعليك بطاعة الله ورسوله ومن والاه وأد إليه حقه ولا تطالبه بما يجب عليه ، وادع فى كل حال .

وعليك بحسن الظن فى المسلمين وإصلاح النية لهم ، وتسعى بينهم فى كل خير ، وأن لا تبيت ولأحد فى قلبك شر ولا شحناء ولا بغض ، وأن تدعو لمن ظلمك ، وراقب الله عز وجل :

وعليك بأكل الحلال، والسؤال لأهل العلم بالله فيما لا تعلم؛ وعليك بالحياء من الله سبحانه وتعالى:

واجعل صحبتك مع من الله معه واصحب من سوى الله بصحبته، وتصدق فى كل صباح بقرصك وإذا أمسيت فصل صلاة الجنازة على كل من مات من المسلمين فى ذلك اليوم وإذا صليت المغرب فصلاة الاستخارة وتقول بكرة وعشيا سبع مرات « اللهم أجرنا من النار » وحافظ على قول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) إلى آخر سورة الحشر، والله الموفق والمعين، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

المقالة السابعة والسبعون

فى الوقوف مع الله والفناء عن الخلق

قال رضى الله عنه وأرضاه: كن مع الله عز وجل كأن لا خلق؛ ومع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع الله عز وجل بلا خلق وجدت، وعن الكل فنيت. وإذا كنت مع الخلق بلا

لفس عدلت وبقيت ومن التبعات سلمت ، واترك الكل على باب خلوتك ، وادخل وحدك تر مؤنسك فى خلوتك بعين سرك ، وتشاهد ماوراء العيان ، وتزول النفس ويأتى مكانها أمر الله وقربه ، فإذن جهلك علم ، وبعدك قرب ، وصمتك ذكر ، ووحشتك أنس .

ياهذا : ما ثم إلا خلق وخالق ، فإذا اخترت الخالق فقل لهم (فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) .

ثم قال رضى الله عنه وأرضاه : من ذاق عرف ، فقيل له : من غلبت عليه مرارة صفرته كيف يجد حلاوة الذوق ؟ فقال يتعمل فى الشهوات من قبله بقصد وتكلف .

ياهذا : المؤمن إذا عمل صالحا انقلبت نفسه قلبا وأدرك مدركات قلب ، ثم انقلب قلبه سرا ثم انقلب الفناء فصار وجودا وبقاء .

ثم قال رضى الله عنه وأرضاه : الأحباب يسعهم كل باب .

ياهذا : الفناء إعدام الخلائق ، وانقلاب طبعك عن طبع الملائكة ، ثم الفناء عن طبع الملائكة ، ثم لحوقك بالمنهاج الأول ، وحينئذ يسقيك ربك مايسقيك ، ويزرع فيك ما يزرع .

إن أردت هذا فعليك بالإسلام ثم الاستسلام ، ثم العلم بالله ثم المعرفة ثم الوجود . وإذا كان وجودك له كان كلك له ؛

الزهد عمل ساعة ؛ والورع عمل ساعتين والمعرفة عمل الأبد :

المقالة الثامنة والسبعون

في أهل المجاهدة والمحاسبة وأولى العزم ، وبيان خصالهم ؛

قال رضى الله عنه وأرضاه : لأهل المجاهدة والمحاسبة وأولى العزم عشر خصال جربوها ، فإذا أقاموها وأحكموها بإذن الله تعالى وصلوا إلى المنازل الشريفة : (الأولى) أن لا يحلف بالله عز وجل صادقا ولا كاذبا عامدا ولا ساهيا ، لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعود لسانه رفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهيا وعامدا ، فإذا اعتاد ذلك فتح الله له بابا من أنواره يعرف منفعة ذلك فى قلبه ، ورفعه فى درجة وقوة فى عزمه وفى صبره والثناء عند الإخوان ، والكرامة عند الجيران حتى يأتم به من يعرفه ويهابه من يراه :

(والثانية) يجتنب الكذب لا هازلا ولا جادا ، لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره وصفا به علمه ، كأنه لا يعرف الكذب ، وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه وعيره به فى نفسه ، وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب :

(الثالثة) أن يحذر أن يعد أحدا شيئا فيخلفه ، ويقطع العدة البتة فإنه أقوى لأمره وأقصد بطريقه ، لأن الخلف من الكذب

فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء ودرجة الحياء وأعطى مودة فى الصادقين ورفعة عند الله جل ثناؤه .

(الرابعة) أن يجتنب أن يلعن شيئا من الخلق ، أو يؤذى ذرة فما فوقها ، لأنها من أخلاق الأبرار والصديقين ، وله عاقبة حسنة فى حفظ الله تعالى فى الدنيا مع مايدخر له من الدرجات ، ويستنقذ من مصارع الهلاك ، ويسلمه من الخلق ، ويرزقه رحمة العباد ، ويقربه منه عز وجل :

(الخامسة) أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه : ولا يكافئه بقول ولا فعل ، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى . وإذا تأدب

بها ينال منزلة شريفة فى الدنيا والآخرة ، والمحبة والمودة فى قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعيد ، وإجابة الدعوة والغلوة فى الخلق ، وعز فى الدنيا فى قلوب المؤمنين :

(السادسة) أن لا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق ، فإنه أقرب للرحمة ، وأعلى فى الدرجة وهى تمام السنة ، وأبعد عن الدخول فى علم الله ، وأبعد من مقت الله وأقرب إلى رضاء الله تعالى ورحمته ، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين .

(السابعة) أن يجتنب النظر إلى المعاصى ويكف عنها جوارحه ، فإن ذلك من أسرع الأعمال ثوابا فى القلب والجوارح فى عاجل الدنيا ؛ مع مايدخره الله له من خير الآخرة ٥

نسأل الله أن يمن علينا أجمعين ويعلمنا بهذه الخصال ، وأن يخرج شهواتنا عن قلوبنا ؛

(الثامنة) يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة صغيرة ولا كبيرة ، بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتاج إليه واستغنى عنه ، فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين ، وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،

ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة ، فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغناء واليقين والثقة به عز وجل ، ولا يرفع أحداً سواه ، وتكون الخلق عنده فى الحق سواء ، ويقطع بأن هذه أسباب عز المؤمنين وشرف المتقين ، وهو أقرب باب الإخلاص .

(التاسعة) ينبغى له أن يقطع طمعه من الآدميين ، ولا يطمع نفسه فيما فى أيديهم ، فإنه العز الأكبر ، والغنى الخاص ، والملك العظيم ، والفخر الجليل ، واليقين الصافى ، والتوكل الشافى الصريح وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل ، وهو باب من أبواب الزهد ، وبه ينال الورع ويكمل نسكه ، وهو من علامات المنقطعين إلى الله عز وجل .

(العاشرة) التواضع لأن به يشيد محل العابد وتعلو منزلته ، ويستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق ، ويقدر على مايريد من أمر الدنيا والآخرة وهذه الخصلة أصل الخصال كلها وفرعها وكمالها ، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين من الله تعالى فى السراء والضراء وهى كمال التقوى .

والتواضع : وهو أن لايلقى العبد أحدا من الناس إلا رأى

له الفضل عليه ، ويقول عسى أن يكون عند الله خيرا منى وأرفع درجة، فإن كان صغيرا قال هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت فلا شك أنه خير منى ، وإن كان كبيرا قال هذا عبدالله قبلى، وإن كان عالما قال هذا أعطى مالم أبلغ ، ونال مالم أنل ، وعلم ماجهلت ، وهو يعمل بعلمه وإن كان جاهلا قال هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم ، ولا أدرى بم يختم لى وبم يختم له ، وإن كان كافرا قال لا أدرى عسى أن يسلم فيختم له بخير العمل ، وعسى أكفر فيختم لى بسوء العمل ، وهذا باب الشفقة والوجل ، وأولى ما يصحب وآخر مايبقى على العباد ، فإذا كان العبد كذلك سلمه الله تعالى من الغوائل ، وبلغ به منازل النصيحة لله عز وجل وكان من أصفياء الرحمن وأحبائه ، وكان من أعداء إبليس عدو الله لعنه الله وهو باب الرحمة ومع ذلك يكون قطع باب الكبر وجبال العجب ، ورفض درجة العلو فى نفسه فى الدين والدنيا والآخرة ؛ وهو مخ العبادة ، وغاية شرف الزاهدين ، وسيما الناسكين ، فلا شيء منه فضل ، ومع ذلك يقطع لسانه عن ذكر العالمين وما لا يعنى ، فلا يتم له عمل إلا به ، ويخرج الغل والكبر والبغى من قلبه فى جميع

أحواله ، وكان لسانه فى السر والعلانية واحدا ، ومشيئته فى السر والعلانية واحدة ، وكلامه كذلك ، والخلق عنده فى النصيحة واحد ، ولا يكون من الناصحين ، وهو يذكر أحدا من خلق الله بسوء أو يعيره بفعل ، أو يحب أن يذكره عنده واحد بسوء . وهذه آفة العابدين ، وعطب النساك ، وهلاك الزاهدين إلا من أعانه الله تعالى وحفظ لسانه وقلبه برحمته وفضله وإحسانه :

تكملة فى ذكر وصاياه لأولاده قدست أسرارهم
وبعض مقالات نافعة أوردها
ومرضه ووفاته ، رضى الله عنه وأرضاه

إنه رضى الله تعالى عنه وأرضاه لما مرض مرضه الذى مات فيه وقال له ابنه عبد الوهاب قدس سره ، أوصنى ياسيدى بما أعمل به بعدك ، فقال رضى الله عنه وأرضاه : عليك بتقوى الله عز وجل ، ولا تخف أحدا سوى الله ، ولا ترج أحدا سوى الله ، وكل الحوائج إلى الله عز وجل ، ولا تعتمد إلا عليه ، واطلبها جميعا منه تعالى ، ولا تتكل على أحد غير الله سبحانه ، التوحيد التوحيد جماع الكل »

وقال رضى الله عنه وأرضاه : إذا صح القلب مع الله عز وجل لايخلو منه شىء ولا يخرج منه شىء .

وقال رضى الله عنه وأرضاه : أنا لب بلا قشر .

وقال رضى الله عنه لأولاده : أبعدوا من حولى فإنى معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن .

وقال رضى الله عنه : قد حضر عندى غيركم فأوسعوا لهم وتأدبوا معهم ، ههنا رحمة عظيمة ، ولا تضيقوا عليهم المكان .

وكان رضى الله تعالى عنه يقول : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، غفر الله لى ولكم ، تاب الله على وعليكم ، بسم الله غير مودعين . قال ذلك يوما وليلة .

وقال رضى الله تعالى عنه : ويلكم أنا لا أبالى بشىء ، لا بملك ولا بملك الموت ، منح لنا من يتولانا سواك ، وصاح صيحة عظيمة وذلك فى اليوم الذى مات فى عشيته رضى الله عنه .

وأخبر ولداه الشيخ عبد الرزاق والشيخ موسى قدست أسرارهما أن حضرة الغوث رضى الله عنه كان يرفع يديه ويمدهما

ويقول ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته : توبوا وادخلوا في الصف إذا جيء إليكم .

وكان رضي الله عنه يقول : أوقفوا ، ثم أتاه الحق وسكرة الموت .

وقال رضي الله عنه : بيني وبينكم وبين الخلق كلهم بعد ما بين السماء والأرض ، فلا تقيسوني بأحد ولا تقيسونا على أحد ، ثم سأله ولده الشيخ عبد العزيز قدس سره عن ألمه وحاله فقال رضي الله عنه ، لا يسألني أحد عن شيء ، أنا أتقلب في علم الله عز وجل .

وقال رضي الله عنه وقد سأله ولده الشيخ عبدالعزيز قدس سره أيضا عن مرضه ، فقال رضي الله عنه : إن مرضي لا يعلمه أحد ولا يعقله أحد إنس ولا جن ولا ملك ، ما ينقص علم الله بحكم الله ، الحكم يتغير والعلم لا يتغير (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ـ و ـ لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون) أخبار الصفات تمر كما جاءت .

وسأله ولده الشيخ عبد الجبار قدس سره : ماذا يؤلمك من جسمك ؟ فقال رضي الله عنه : جميع أعضائي تؤلمني إلا

قلبى فما به ألم وهو مع الله عز وجل، ثم أتاه الموت فكان رضى الله عنه يقول : استعنت بلا إله إلا الله سبحانه وتعالى، والحى الذى لايخشى الفوت ، سبحان من تعزز بالقدرة وقهر عباده بالموت ، لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وأخبر ولده الشيخ موسى قدس سره أنه قال : لما قربت وفاة حضرة الشيخ رضى الله عنه وأرضاه كان يقول : تعزز ولم يؤدها على الصحة فما زال يكررها حتى إذا قال تعزز ومدّ بها صوته وشدها حتى صاح لسانه، ثم قال الله الله الله ثم خفى صوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه ، ثم خرجت روحه الكريمة رضوان الله تعالى عليه .

فى بيان تاريخ وفاته وولادته
وكم له من العمر حين دخل بغداد وكم عاش
قدس الله سره ورضى عنه

(فأما ولادته رضى الله عنه) ففى عام أربعمائة وسبعين .

(وأما وفاته) رضى الله عنه ففى عام خمسمائة وأحد وستين :

(وأما عمره) رضى الله عنه فأحد وتسعون سنة :

ودخل بغداد ، وله من العمر ثمانية عشر سنة :

ولله در بعضهم حيث جمع ذلك كله ، يعنى تاريخ الولادة والوفاة والعمر فى بيت مفرد حيث قال :

إن باز الله سلطان الرجال   جاء فى عشق ومات فى كمال

فعلى هذا كلمة (عشق) عددها بالجمل أربعمائة وسبعين ، فهو تاريخ الولادة ، وكلمة (كمال) ، أحد وتسعون فهو قدر العمر :

وإذا ضمينا كلمة (عشق) مع كلمة (كمال) يكون الحاصل من العدد خمسمائة وأحد وستون ، فهو تاريخ الوفاة ، وكذا حققه فى البهجة ، وقلائد الجواهر ، ونزهة الخاطر ، والله أعلم :

في بيان تكملة نسب حضرة الغوث

قدس سره من والدته أيضا رضى الله عنها

قد تقدم نسب حضرة المؤلف قدس الله تعالى سره ورضى عنه وعنا به ، الذى من جهة والده قدس الله سره متصل بحضرة سيدنا أمير المؤمنين الحسن السبط رضى الله عنه :

وليعلم أيضا أن نسبه الشريف متصل بحضرة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين رضى الله عنه ، وذلك من جهة والدته الكريمة رضى الله عنها :

فكان الغرض من ذكره آخر الكتاب للمناسبة الواضحة وهى تقدم الذكور على الإناث طبعا ، وأن سيدنا الحسن رضى الله عنه أكبر سنا من حضرة سيدنا الحسين رضى الله عنه ، ولأن يكون التأليف محصنا مسورا من أوله وآخره بالنسبين الشريفين :

وأيضا حضرة الشيخ المشار إليه نسبه العالى له اتصال

بحضرة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه فى الغار أمير المؤمنين سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

فأقول وبالله العون ومنه التوفيق لأقوم طريق :

اعلم أن حضرة قطب العارفين الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله تعالى سره والدته الكريمة رضى الله عنها اسمها أم الخير ، أمة الجبار فاطمة بنت السيد عبد الله الصومعى الزاهد ابن الإمام أبى جمال الدين السيد محمد ، ابن الإمام السيد محمود ابن الإمام السيد أبى العطاء عبدالله ، ابن الإمام السيد كمال الدين عيسى ، ابن الإمام السيد أبى علاء الدين محمد الجواد رضى الله عنه ، ابن الإمام الهمام على الرضى رضى الله عنه ، ابن الإمام الهمام موسى الكاظم رضى الله عنه ، ابن الإمام الهمام جعفر الصادق رضى الله عنه ، ابن الإمام الهمام محمد الباقر رضى الله عنه ، ابن الإمام الهمام زين العابدين رضى الله عنه ، ابن الإمام الهمام سيد شباب أهل الجنة وقرة أعين أهل السنة سيد الشهداء أبى عبد الله الحسين رضى الله عنه وعنا به آمين .

وأما اتصال النسب العالى بسيدنا أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

فهوأن حضرة والدة والد حضرة الغوث المشار إليه قدس سره اسمها أم سلمة رضى الله عنها (كريمة) الإمام محمد رضى الله عنه ابن الإمام طلحة رضى الله عنه ، ابن الإمام عبد الله رضى الله عنه ، ابن الإمام عبد الرحمن رضى الله عنه ابن حضرة الإمام أمير المؤمنين سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه ورضى عنا به آمين .

وأما اتصال النسب العالى بحضرة سيدنا ذى النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه :

(فهو) أن سيدنا عبد الله المحض الجد التاسع لحضرة الغوث المشار إليه اقب (بالمحض) لأن لفظ محض يطلق على الخالص من كل شيء (وسيدنا) عبد الله المشار إليه نسبه الشريف خالص من الموالى من جهة الأم والأب فلقب به لأن أباه سيدنا الحسن المثنى ابن سيدنا الحسن السبط رضى الله عنه ابن الإمام سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنهم أجمعين (وأمه) فاطمة رضى الله عنها ، بعد وفاة أبيه ، تزوجها السيد عبد الله بن المظفر رضى الله عنه ، ابن عمر رضى

الله عنه ، ابن أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه :

وأما اتصال النسب العالى بسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فاعلم أن عبد الله بن المظفر المتقدم ذكره والدته الكريمة اسمها (حفصة) رضى الله عنها (كريمة) سيدنا عبد الله رضى الله عنه ، ابن سيدنا عمر رضى الله عنه ، فعلى هذا يكون هذا النسب الشريف له اتصال بسيدنا الصديق وبسيدنا الفاروق وبسيدنا ذى النورين ، وبساداتنا الحسنين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين :

وأما بيان سلسلة طريقته الشريفة المتصلة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فهو أن حضرة المشار إليه تلقن الذكر الشريف ، وبعد تخلف ولبس الخرقة القادرية العلية من شيخه ومرشده ، العارف بالله تعالى الشيخ أبى سعيد المبارك ابن على المخزومى رضى الله عنه :

وبعد أن تولى حضرة الغوث درجة القطبية حضرة الشيخ أبى سعيد أيضا تخلف وليس من حضرة الغوث المشار إليه قدست

أسرارهما (وشيخهما فى الخرقة) شيخ الإسلام العارف بالله تعالى الشيخ أبو الحسن على بن يوسف القرشى الهكارى رضى الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبى الفرج الطرسوسى رضى الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبى بكر دلف بن جحدر الشبلى رضى الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبى القاسم الجنيد ببغدادى رضى الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ سرى الدين السقطى رضى الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ أبى محفوظ معروف الكرخى رضى الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ داود الطائى رضى الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ حبيب العجمى رضى الله عنه (وهو لبس الخرقة من شيخه) العارف بالله الشيخ حسن البصرى رضى الله عنه عن حضرة شيخه ومرشده سيدنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن حضرة سيد المرسلين ورسول رب العالمين سيدنا ونبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

(وأما بيان أولاده رضى الله عنه) فهم الشيخ عبد الوهاب والشيخ عبد الرزاق والشيخ عبد العزيز والشيخ عبد الجبار والشيخ عبد الغفور والشيخ عبد الغنى والشيخ صالح والشيخ محمد والشيخ موسى والشيخ عيسى والشيخ إبراهيم والشيخ يحيى وهو أصغرهم وكريمته أمة الجبار العلوية فاطمة قدست أسرارهم أجمعين :

هذه عقيدة الباز الأشهب

قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى كيف الكيف وتنزه عن الكيفية ، وأين الأين ، وتعزز عن الأينية ، ووجد فى كل شىء وتقدس عن الظرفية ، وحضر عند كل شىء وتعالى عن العندية ، فهو أول كل شىء وليس له آخرية .

وإن قلت أين فقد طالبته بالأينية ، وإن قلت كيف فقد طالبته بالكيفية ، وإن قلت متى فقد زاحمته بالوقتية ، وإن قلت ليس فقد عطلته عن الكونية ، وإن قلت لو فقد قابلته بالنقصية وإن قلت لم فقد عارضته فى الملكوتية .

سبحانه وتعالى لا يسبق بقبلية ولا يلحق ببعدية ، ولا يقاس

بمثلية ولا يقرن بشكلية ، ولا يعاب بزوجية ولا يعرف بجسمية :

سبحانه وتعالى لو كان شبحا لكان معروف الكمية ، ولو كان جسما لكان متألف البنية ، بل هو واحد ردا على البنوية ، صمد ردا على الوثنية ، لا مثل له طعنا على الحشوية ؛ لا كقوله ردا على من ألحد بالوصفية ، لايتحرك متحرك فى خير أوشر أو سر أو جهر فى بر أو بحر إلا بإرادته ردا على القدرية ، لاتضاهى قدرته ولاتتناهى حكمته تكذيبا للهذلية ، حقوقه الواجبة وحجته البالغة ، ولا حق لأحد عليه إذا طالبه نقضا لقاعدة النظامية ، عادل لايظلم فى أحكامه ، صادق لايخاف فى إعلامه متكلم بكلام قديم أزلى لا خالق لكلامه .

أنزل القرآن فأعجز الفصحاء فى نظامه إرغاما لحجج المرادية ، يستر العيوب ربنا ويغفر الذنوب لمن يتوب ، فإن امرؤ إلى ذنبه عاد فالماضى لا يعاد محضا للبشر ، تنزه عن الزيف وتقدس عن الحيف :

وتؤمن أنه ألف بين قلوب المؤمنين ، وأنه أضل الكافرين ردا على المشامية :

ونصدق أن فساق هذه الأمة خير من اليهود والنصارى والمجوس ردا على الجعفرية ؛

ونقر أنه يرى نفسه ويرى غيره، وأنه سميع بكل نداء ، بصير بكل خفاء ، ردا على الكعبية .

خلق خلقه فى أحسن فطرة ؛ وأعادهم بالغناء فى ظلمة الحفرة ، وسيعيدهم كما بدأهم أول مرة رداعلى الدهرية ، فإذا جمعهم ليوم حسابه يتجلى لأحبابه فيشاهدونه بالبصر يرى كالقمر ، لايحجب إلا من أنكر الرؤيا من المعتزلة ، كيف يحجب عن أحبابه أو يوقفهم دون حجابه وقد تقدمت مواعيده القديمة الأزلية : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) :

أترى ترضى من الجنان بحورية ؟ أم تقنع من البستان بالحلل السندسية ؟ .

كيف يفرح المجنون بدون ليلى العامرية ؟ كيف يرتاح المحبون بغير النفحات العنبرية ؟ أجساد أذيبت فى تحقيق العبودية كيف لاتتنعم بالمقاعد العندية ؟ أبصار سهرت فى الليالى الديجورية ؟ كيف لا تتلذذ بالمشاهدة الأنسية ؟ وألباب عذبت

باللبانات الحبية ، كيف لا تشرب من المدامة الربية ؟ وأرواح حبست فى الأشباح الحسية ، كيف لاتسرح فى الرياض القدسية وترتع فى مراتعها العلية ، وتشرب من مواردها الروية ، وتنهى مابها من فرط شوق ووجد شرح الحال عن تلك الشكية ويبرز حاكم العشاق جهرا ويفصل عن تلك القضية .

إذا خوطبت عند التلاق لمولاها ابتداها بالتحية ، فيأمرها إلى جنات عدن فتأبى أنفسا منها أبية ، وتقسم فيه أن لا نظرت سواه ولا عقدت لسواه نية ، ولا رضيت من الأكوان شيئا ولا كانت مطالبها دنية ، فما هجرت لذيذ العيش إلا لتحظى منه بالصلة السنية ، ويسقيها مدير الراح كأسا صفاه من صفو صفواته هنية ؛

إذا أديرت على الندماء جهرا حفت بالبواكر والعشية ، تزيدهم ارتياحا واشتياقا إلى أنوار طلعته البهية .

وحقك إن عينا لن تريها جمالك فإنها عين شقية ، قتلت بحسنك العشاق جمعا بحق هواك رفقا بالرعية ، قلوب تذوب إليك شوقا ولم يبق الهوى منها بقية ، فإن أقضى وما قضيت

قصدى فإنى من هواك على وصية ، ولست بآيس عند التلاقى
يا إلهى بأن تمحو عواطفك الخطية .

كيف يكون الرد يا إخوانى وفى الأسحار أوقات ربانية ، وإشارات سماوية ، ونفحات ملكية ؟ والدليل على صدق هذه القضية : غناء الأطيار فى الأشجار بالألحان الداودية ، وتصفيق الأنهار المنكسرة فى الرياض الروضية ، ورقص الأغصان بالحلل السندسية ، من الجنة كل ذلك إذعانا واعترافا له بالوحدانية .

ألا يا أهل المحبة إن الحق يتجلى فى وقت السحر ، وينادى هل من تائب فأتوب عليه توبة مرضية ؟ هل من مستغفر فأغفر له الخطايا بالكلية ؟ هل من مستعط فأجز له النعم والعطية ؟

ألا وإن الأرواح إذا صفت كانت ببهجته مشرقة مضية وتساوت فى الأحوال وهان عليها كل رزية .

لا جرم أن رائحة دموعهم فى الآفاق عطرية ، وبصبرهم على بعض الهجر استحقوا الوصل من المراتب العلية ، وصحة أحاديثهم فى طبقات المحبين مسندة مروية ، وراحوا من غير سؤال حاجاتهم مقضية ، هدية الحب قد أصبحت واضحة

جلية ، فيالها من قوافٍ بهية ، وعقيدة سنية ، على أصول مذاهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية عصمنى الله تعالى وإياكم من الذين فرقوا فمرقوا كما يمرق السهم من الرمية ، وجعلنى وإياكم من الذين لهم غرف من فوقها غرف مبنية .

وصلى الله على سيدنا محمد أشرف البرية ، وعلى آله وأصحابه وخصهم بأشرف التحية ، وسلم تسليما كثيرا دائما ، متجددا مترادفا فى كل بكرة وعشيـــة ، والحمد لله رب العـــالمين .

وهذه القصيدة العينية

من نظم القطب الغوث الربانى
سيدى عبد القادر الجيلانى

فؤاد به شمس المحبة طالع ... وليس لنجم العذل فيه مواقع
صحا الناس من سكر الغرام وما صحا ... وأفرق كل وهو فى الحان جامع
حميا هواه غير قهوة غيره ... مدام دواما تقتنيها الأضالع
هوى وصبابات ونار محبة ... وتربة صبر قد سقتها المدامع
أولع قلبى من زرود بمائه ... ويا ولهى كم مات ثمة والع
ولى مطمع بين الأجارع عهده ... قديم وكم خابت هناك المطامع
أيا زمن الرند الذى بين لعلع ... تقضى لنا هل أنت يا عصر راجع
لقد كان لى فى ظل جاهك مرتع ... هنى ولى بالرقمتين مراتع
أجر ذيول اللهو فى ساحة اللقا ... وأجنى ثمار القرب وهى أيانع
وأشرب كأس الوصل راحا براحة ... تصفق بالراحات منها الأصابع

تصرّم ذاك العمر حتى كأننى　　أعيش بلا عمر وللعيش مانع

مذاغبر خضر العيش وابيض لمتى　　تسود صبحى فالدموع فواقع

وشرب من الغزلان فيهن فتية　　لنا هن فى سقط الغرير رواتع

عفرن بدورا مذ قلمنا عقاربا　　من الشعر خلنا أنهن براقع

رعى الله تلك السرب لى ورعى الحمى

ولا صنعت سربا وأى صنائع

صليت بنار أضرمتها ثلاثة　　غرام وشوق والديار الشواسع

يخيل لى أن العذيب وماءه　　منام ومن فرط الغرام الأجارع

فلا نار إلا ما فؤادى محله　　وما السحر إلا ما الجفون تدافع

ولا وجد إلا ما أقاسيه فى الهوى　　ولا موت إلا ما إليه أسارع

فلو قيس ما قاسيته بجهنم　　من الوجد كانت بعض ما أنا جارع

جفونى بها نوح فطوفانها الدما　　ونوحى رعد والزفر اللوامع

وجسمى به أيوب قد حل للبلا　　وإن مسنى ضر فما أنا جازع

وما نار إبراهيم إلا كجمرة　　من الجمرات اللت حوتها الأضالع

فسرى فى بحر الصبابة يونس　　تلقمه حوت الهوى وهو خاشع

و فى فؤادى من شعيب كآبة　　تشعب إذ شطت مزارا مرائع

حكى زكريا وهن عظمى من الضنا

أيحيي اصطبارى وهو فى الموت واقع

أبا يوسف الدنيا لفقدك فى الحشا

من الحزن يعقوب فهل أنت راجع

أتينا تجار الذل نحو عزيزكم وأرواحنا المزجاة تلك البضائع

فإن تك عطفا أنت أهل لأهله أما إن يكن عون العذيب موانع

تحكم بما تهواه فى فإننى فقير لسلطان المحبة طائع

فكل الذى يقضيه فى رضاكم مرامى وفوق القصد ما أنت صانع

حببتك لا لى بل لأنك أهله ولا لى فى شىء سواك مطامع

فصل إن ترد أودع وعد عن اللقا وأوعد وعد وعدا فما أنا قانع

تمكن منى الحب فامتحق الحشى وأتلفنى الوجد الشديد المنازع

وأشغلنى شغلى بها عن سوائها وأذهلنى عن الهوى والجوامع

وقد فتكت روحى بقارعة الهوى وأفنيت عن نحوى بما أنا فارع

تلذ لى الآلام إذ أنت مسقمى وإن تمتحنى فهى عندى صنائع

فقام الهوى عندى مقامى فكنته وغيبت عن كونى فعشقى جامع

غرامى غرام لا يقاس بغيره ودون هيامى للمحبين مانع

فؤادى والتبريح للروح لازم وسقمى والآلام للجسم تابع

وبعدى وأشجانى وشوقى ولوعتى
لجوهر ذاتى فى الغــرام طبائع
وشوقى نار والهوى فهو الهوى وتربى والما وذلى والمدامع
يلوم الورى نفسى لفرط جنونها وليس بأذنى للملامة سامع
ومذ أودعت أحشائى حبك إننى لسهم قسى النائبات مواقع
ومالى إن حل البلاء التفاتة ومالى إن جاء النعيم مراتع
ولا أن من يسلو ببعض غرائب عن البعض بل بالكل ما أنا قانع
وشوقى ما شوقى وقيت فإنه جحيم له بين الضلوع فراقع
ولى كمد لو حملته جبالها
لدكت برضواها وهدت صوامع
يخيل لى أن السماء على الثرى طباقا وأنى بين ذلك واقع
ولى كبد حراء من جزع بها عليك ولم تبرد عليك مصالع
ونفسى نفس أى نفس أبية
ترى الموت نصب العين وهى تسارع
فهمى وفهمى ذا عليك وفيك ذا وجدى ووجدى زائد ومتابع
وعزمى زعمى أنه فوق كلما تراءى ودمعى إنما هو نافع
تسامر عينى السها لسهادها وتسأل بل ما سال إلا المدامع

ويطرق منك الطيف جفن بغيتى وكم زاره طيف وما هو هاجع
يخبرنى عنك الصبا وهو جاهل فتلتذ من أخباركم والمسامع
إذ زمزمت ورق على غصن بانة وجاوب قمرى على الأيك ساجع
فأذنى لم تسمع سوى نغمة الهوى ومنكم فإنى لا من الطير سامع
وعن أى أمن كان إن هب ضائع لكم فيه من عطر الغرام بضائع
وإن زجر الرعد الحجازى بالصفا
وأبرق من شعبى جياد لوامع
يصور لى الوهم المخيل أن ذا ثناك وهذا من ثناياك ساطع
فأسمع عنكم كل أخرس ناطقا وأشهدكم فى كل شىء مطالع
إذا شاهدت عينى جمال ملاحة فما نظرى إلا بعينك واقع
وماهز من غصن فتى تحت طلعه
من البدر أبدت ما خفتها الأضالع
ولا سلسلت أعناقها بغرامها تصافيق جهد خطهن وقائع
ولا نقطت خال الملاحة بهجة على وجنة إلا وحرفك طالع
فأنت الذى لى فيه يظهر حسنه به لا بنفسى ماله من ينازع
وإن حس جلدى من كثيف خشونة
فلى فيه من ألطاف حسنك دارع

تخذتك وجها والأنام بطانة فأنجمهم غابت وشمسك طالع

فديني وإسلامي وتقواي إنني بحبك فان لا ائتمارك طائع

إذا قيل قل لا قلت غير جمالها وإن قيل إلا قلت حسنك شائع

أصلى إذا صلى الأنام وإنما صلاتي بأني لاعتزازك خاضع

أكبر في التحريم ذاتك عن سوى

وباسمك تسبيحي إذا أنا خاشع

أقوم أصلي أي أقوم على الوفا بأنك فرد واحد الحسن جامع

وأقرأ من قرآن حسنك آية فذلك قرآني إذا أنا راكع

فأسجد كي أفنى وأفنى عن الفنا وأسجد أخرى والمتيم والع

وقلبي مذا أبقاه حسنك عنده تحياته منكم إليكم تسارع

صيامي هو الإمساك عن رؤية السوى

وفطري أني نحو وجهك راكع

وبذلي نفسي في هواك صبابة زكاة جمالي منك في القلب ساطع

أرى مرج قلبي مع وجودي جنابة

فماء طهوري أنت والغير مائع

أيا كعبة الآمال وجهك حجتي وعمرة نسكي إنني فيك والع

وتجريد نفسى من مخيط ثيابها بوصل وإحرام عن الغير قاطع
ويلتذ منى أن أدلك مهجتى لما منك فى دار من الحسن مانع
كأن صفاة منك تدعو إلى العلا فلبت بقلبى فاستبانت شواسع
فتركى لطيبى والنكاح فإن ذا صفاتى وذا ذاتى فهن موانع
وإعفاء حلق الرأس ترك رئاستى وشرط الهوى أن المتيم خاضع
إذا ترك الحجاج تقليم ظفرهم تركت من الأفعال ما أنا صانع
وكنت كآلات وأنت الذى بها تصرف بالمقدور ما هو واقع
وما أن جبرى للعقيدة أننى محب فنى فيمن حوته الأضالع
فها أنا فى تطواف كعبة حسنها أدور ومعنى الدور أنى راجع
ومذ علمت نفسى طوافك سبعة فأعداد تطوافى جمال سوابع
أقبل خال الحسن والحجر الذى لنا من قديم العهد فيه ودائع
ومعناه أن النفس فيها لطيفة بها تقبل الأوصاف والذات شائع
وأستلم الركن اليمانى إنه به نفس الرحمن والنفس سالع
وأختم تطواف الغرام بركعة من المحو عما أحدثته الطبائع
ترى هل لموسى القلب فى زمزم اللقا
مراضع لا حرّمت تلك المراضع

فيذهب وصنى فى صفات صفاتكم
ليسعى لمرو الذات وهى تسارع
وليس الصفاء إلا الصفاء ومروة بأنى على تحقيق حتى صادع
وما القصر إلا عن سواكم حقيقة وما الحلق إلا ترك ماهو قاطع
ولا عرفات الوصل إلا جنابكم فطوبى لمن فى حضرة القرب يانع
على علمى معناك ضدان جمعا ويالهفى ضدان كيف التجامع
بمزدلفات فى طريق غرامكم عوائق من دون اللقا وقواطع
فإن حصل الإشعار فى زمزم اللقا وساعد جذب العزم فالفوز واقع
على مشعر التحقيق عظمت فى الهوى
تبيعا بحكم أصلته الشرائع
وكم من منى لى فى منى حضراتكم وياحسرتى إن المحسر شاسع
رميت جمار النفس فى الروح فانثنت
جهنمها ماء وصاحت ضفادع
وأبدل رضوان بمالك وأنبتت بها شجر الجرجير والغصن يانع
فقاضت على ذاتى ينابيع وصفها
وناهيك صرف الحق تلك الينابع
وطفت طوافا للإفاضة بالحمى وقمت مقاما للخليل أتابع

فكنت من ملك الغرام وها أنا مليك وسيفى فى الصبابة قاطع

وحققت علما واقتدارا جميع ما تضمنه ملكى ومالى منازع

ولما قضينا النسك من حجة الهوى وتم لنا من حى ليلى بدائع

حثثنا مطايا العزم نحو محمد وطفنا وداعا والدموع هوامع

وجبنا بتهنئة النفوس مفاوزا سباسب فيها الرجال مصارع

حمى درست فى العالمين طريقه فعز وكم قد خاب فى العز طامع

محل بحال القرب حالت رسومه وأوج منيع دونه البرق لامع

ينكس رأس الريح عند ارتفاعه

فكم زال عنه السحب والغيث هامع

حوى تحته بهرام فى الأوج ساجدا

وكيوان من فوق السموات راكع

فكم رامح مذ رامه صار أعزلا وفى قلبه من عقرب الفقر لاذع

سريت به والليل أدجى من العمى على باذل أفديه ماهو طائع

يجوب الفلا جوب الصواعق فى الدجا

ويرحل عن مرعى الكلا وهو جائع

وإن مر بعد العسر بالماء إنه على ظمأ من ذاك باليسر قانع

هى النفس نعمت مركبا ومطية فليس لها دون المرام موانع

فياسعد إن رمت السعادة فاغتنم فقد جاء فى نظم البديع بدائع

مفاتيح أقفال القلوب أتتك فى خزائن أقوالى فهل أنت سامع

أكشفت عن أسرار الشريعة فانحها

فما وضعت إلا لتلك شرائع

وها أنا ذا أخفى وأظهر تارة رمز الهوى ما السر عندى ذائع

وإياك أعنى واسمعى جارتى وما يصرح إلا جاهل أو مخادع

ولكننى آتيك بالبدر أبلجا وأخفيه أخرى كى تصان الودائع

خذا الأمر بالإيمان من فوق أوجه ونازع إذا نفسا أتتك تنازع

فللمرء فى التنزيل أو فى أدلة ولكن قلبى فى الحقيقة والع

وفى السنة الزهراء كل عبارة بها من إشارات الغرام وقائع

فإن كنت فيمن ماله يد ماجد سوى أن بتصريح التشكل قانع

سأنشى روايات إلى الحق أسندت

وأضرب أمثالا بما أنا واضع

وأوضح بالمعقول سر حقيقة لمن هو ذو قلب إلى الحق راجع

تجلى حبيبى فى مرائى جماله ففى كل مرأى للحبيب طلائع

فلما تبدى حسنه متنوعا تسمى بأسماء فهن مطالع

وأبرز منه فيه آثار وصفه فذالكم آثار من هو صانع

فأوصافه والاسم والأثر الذى هو الكون عين الذات والله جامع

فما ثم من شيء سوى الله في الورى وما ثم مسموع وما ثم سامع
هو العرش والكرسي والمنظر العلى
هو السدرة اللاتى إليها المراجع
هو الأصل حقا والرسوم مع الهوى هو الفلك الدوار وهو الطبائع
هو النور والظلمات والماء والهوى
هو العنصر النارى وهو الطبائع
هو الشمس والبدر المنير مع السها
هو الأفق وهو النجم وهو المواقع
هو المركز الحكمى والأرض والسما
هو المظلم العتام وهو اللوامع
هو الدار وهو الحى والأثل والغضا هو الناس والسكان وهو المرابع
هو الحكم والتأثير والأمر والقضا
هو العز والسلطان والمتواضع
هو اللفظ والمعنى وصورة كلما يجول من المعقول أو هو واقع
هو الجنس وهو النوع والفصل إنه
هو الواجب الذاتى والمتمانع

هو العرض الطارى نعم وهو جوهر
هو المعدن الصلدى وهو الموالع
هو الحيــوان الحى وهو حياته
هو الوحش والإنسى وهو السواجع
هو القيس بل ليلى وهو بثينة أجل نشرها والخيف وهو الأجارع
هو العقل وهو النفس والقلب والحشا
هو الجسم وهو الروح والمتدافع
هو الموجد الأشيا وعين وجودها وعين ذوات الكل وهو الموانع
بدت فى نجوم الخلق أنوار شمسه فلم يبق حكم النجم والشمس طالع
حقائق ذات فى مراتب حقه تسمى باسم الخلق والخلق واسع
وفى فيه روحى نفحت كناية هل للروح إلا عينه يا منازع
ونزهه عن حكم الحلول فما له سوى وإلى توحيده الأمر راجع
فيا أحدى الذات فى عين كثرة ويا موجد الأشياء ذاتك شائع
تجليت فى الأشياء حين خلقتها فها هى ميطت عنك فيها البراقع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة
ولم يك موصولا ولا فصل قاطع
ولكنها أحكام رتبتك اقتضت ألوهية للضد فيك التجامع

فأنت الورى حقا وأنت إمامنا وأنك ما يعلو وما هو واضع

وما الخلق فى التمثال إلا كثلجة وأنت بها المـاء الذى هو نابع

فما الثلج فى تحقيقنا غير مائه وغير أن فى حكم دعته الشرائع

ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماءوالأمر واقع

تجمعت الأضداد فى واحد البها وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع

فكل بهاء فى ملاحة صورة على كل قد شابه الغصن يانع

وكل اسوداد فى تصافيق طرة وكل احمرار فى الطلائع صانع

وكل كحيل الطرف يقتل صبه بماض كسيف الهند حال مضارع

وكل اسمرار فى القوائم كالقنا عليه من الشعر الوسيم شرائع

وكل مليح بالملاحة قد زها وكل جميـل بالمحاسن بازع

وكل لطيف جل أودق حسنه وكل جليل وهو باللطف صادع

محاسن من أنشاه ذلك كله فوحد ولا تشرك به فهو واسع

وإياك لا تلفظ بغيرية البها فما ثم غير وهو بالحسن بادع

وكل قبيح إن نسبت لحسنه أتتك معانى الحسن فيه تسارع

ولا تحسبن الحسن ينسب وحده إليه البها والقبح بالذات راجع

يكمل نقصان القبيح جماله وما ثم نقصان ولا ثم بانع

ويرفع مقدار الوضيع جلاله إذا لاح فيه فهو للوضع رافع

فلا تحتجب عنه لشىء بصورة | فخلف حجاب العين للنور لامع
وأطلق عنان الحق فى كل ماترى | فتلك تجليات من هو صانع
لقد خلق الأرضين بالحق والسما | كذا جاء فى القرآن إن أنت سامع
وما الحق إلا الله لاشىء غيره | فشم شذاه فهو فى الخلق ضائع
وشاهده حقا فيك منك فإنه | هويتك اللاتى بها أنت دالع
ففى أينما حقا تولوا وجوهكم | فما ثم إلا الله هل من يطالع
فبع منك نفسا بالإله وكنهه
تكون كما إن لم تكن وهو صادع
ودع عنك أوصافا بها كنت عارفا
لنفسك فيها للإله ودائع
وشاهد بوصف الحق نفسك أنت هو
ولا تلتبس للحق ما أنت خاضع
وكن باليقين الحق للخلق جاحدا | وجمعك خله إن فرقك قاطع
ولا تحتقر بالإسم فالإسم دارس | ولا تختصر بالعين فالعين تابع
وإياك حزما لايهولك أمرها | فما نالها إلا الشجاع المقارع
حنانيك واحذر من تأدب جاهل | فيارب آداب لقوم قواطع
وكن ناظرا فى القلب صورة حسنه | على هيئة للنفس يظهر طابع

فقد صح فى متن الحديث «تخلقوا بأخلاقه» ماللحقيقة مانع

وهاهو سمع بل لسان أجل بدا لنا هكذا بالنقل أخبر شارع

فعم قوانا والجوارح كونه لسانا وسمعا ثم رجلا تسارع

وكنا شواهد للجوارح والقوى هو الكل منا ما لقولى دافع

ويكفيك ماقدجاء فى الخلق إنه علىَ صورة الرحمن آدم واقع

ولو لم يكن فى وجه آدم عينه لماسجد الأملاك وهى خواضع

ولو شاهدت عين لإبليس وجهه على آدم لم يعص وهو مطاوع

ولكن جرى المقدور فهو على عمى

عن العين إذ حالت هناك موانع

ولا تك من إبليس فى شبه سيره ودع قيده العقلى فالعقل رادع

وخض فى بحار الإتحاد منزها

عن المزج بالأغيار إن أنت خاشع

وإياك والتنزيه فهو مقيـــد وإياك والتشبيه فهو مخادع

وشبهه فى تنزيه سبحات وجه ونزهه فى تشبيه ماهو ضارع

وقل هوذا بل غيره وهو غيرما عرفت وعين العلم فالحق شائع

ولا تك محجوبا برؤية حسه

عن الذات أنت الذات أنت المجامع

فعينك شاهدها مجدا لأصلها فإن عليها للجهال لوامع
أنيتك التى هى القصد والمنى بها الأمرمرموز وحسنك بارع
ونفسك تحوى بالحقيقة كلها أشرت بجد القول ما أنا خادع
تهنى بها واعرف حقيقتها وما كعرفانها شيء لذاتك نافع
فحقق وكن حقا فأنت حقيقة لحقك والمخلوق بالذات جامع
ووجده فى الأشياء فهو منزه
وخلف حجاب الكون للنور ساطع
ولا تطلبن فيها الدليل فإنه وراء كتاب العقل تلك الوقائع
ولكن بإيمان وحسن تتبع إذا رمت جاءتك الأمور توابع
وإن قيدتك النفس فاطلق عنانها وسر معها حتى تهون الوقائع
وبرهن لها التحقيق عقلا مقيدا بنقل به جاءت إليك شرائع
فثم أصول فى الطريق لأهلها رهن إلى سبل النجاة ذرائع
تمسك بها تنجو وزن كل وارد بقسطاسها عدلا فثم قواطع
ودع ماتراه مال عن خط عدلها
إلى أن تناجيك الشموس الطوالع
فذاك سبيلى رده إن ترد العلا ولا تعد عنه تعتريك قواطع

. . . . (١)

وإنى ومن فى الحب أهــدى بهديه
بأنك لا تهدى من احببت قانع
فدع عنك دعوى القول فى نكت الهوى
فراحلة الألفاظ فى السير طالع
وسر فى الجوى بالروح واصغ إلى الهوى
لتسمع منه سر ما أنت والع
ومن دون هذا الاستماع مهالك وما كل أذن فيه تلك المسامع
فشمر ولذ بالأولياء لأنهم لهم من كتاب الله تلك الوقائع
هم الذخر للملهوف والـكنز للرجا
ومنهم ينال الصب ماهو طامع
بهم يهتدى للعين من ضل فى الهوى بهم تجذب العشاق والربع شاسع
هم القصد والمطلوب والسؤال والمنى
وأنسهم للصب فى الحب شائع
هم الناس فالزم إن عرفت جنابهم ففيهم لضير العالمين منافع
وإن جهلوا فانظر بحسن عقيدة إلى كل من تلقاه بالفقر ضارع

---

(١) بياض بالأصل .

وحافظ مواقيت الإرادة قائما
بشرع الهوى إن أنت فى الحب شارع

وداوم على شرطين ذكر أحبة ... وتسليك نفس للخلاف تسارع

ولا تهملن ذكر الأحبة لمحة ... فميل الفتى عما يحاول رادع

و ... اعد المقدور أو ساقك القضا ... إلى شيخ حق فى الحقيقة بارع

فقم فى رضاه واتبع لمراده ... ودع كلما من قبل كنت تسارع

وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ماشاء وهو مطاوع

ولا تعترض فيما جهلت من امره ... عليه فإن الإعتراض تنازع

وسلم له فيما تراه ولو يكن ... على غير مشروع فثم مخادع

ففى قصة الخضر الكريم كفاية ... بقتل غلام والكليم يدافع

فلما أضاء الصبح عن ليل سره ... وسل حساما للغياهب قاطع

أقام له العذر الكليم وإنه ... كذلك علم القوم فيه بدائع

وواظب شهود الحق فيك فإنه ... هو الحق والأنوار فيك سواطع

ورق مقام القلب عن نجم ربه ... إلى قمر الرحمن إذ هو طالع

إلى شمس تحقيق الألوهة رافعا ... إلى ذاته فى العذر إن أنت رافع

فلله خلف الإسم والوصف مظهر ... وعنه عيون العالمين هواجع

وليس ترى الرحمن إلا بعينه ... وذلك حكم فى الحقيقة واقع

وإياك لا تستبعد الأمـر إنه قريب على من فيه للحق تابع
وها أنا ذا أنبيك عن سبل الهوى وأفصح عما قد حوته المشارع
أقص حديثا تم لى عن بدايتى لنحو انتهائى عله لك نافع
برزت من النور الإلهى لمعة لحكمة ترتيب اقتضتها البدائع
إلى سقف عرش الله فى أفق العلا ومنه إلى الكونين وهى تسارع
إلى القلم الأعلى ولبى منه مدة إلى اللوح لوح الأمر والخلق واسع
إلى المنتهى السامى وقبل مكرما نزلت الهيولى وهو للخلق جامع
هناك تلقتنى العناصر حكمة ومنها أحلتنى حماها الطبائع
وأنزلنى المقدور فى أوج أطلس هو الفلك العالى الذرى وهو تاسع
ومنه هبوطى للكواكب نازلا على فلك كيوان ثمة سابع
فلما نزلت المشترى وهو سادس سماء به للكون فى السعد تابع
أتيت سما بهرام من بعدها بطا على فلك الشمس والشمس رابع
وبالكرة الزهراء أعنى سماءها حثثت مطايا السير والدار شاسع
على كاتب الأفلاك وهو عطارد وفدت فكانت لى هناك مرابع
فبالقمر الباهى نزلت وشرعت على الفلك النارى الأشد شرائع
ومنه هواء الأمر فى فلك الهوى ركائب عزم مالهن موانع
وبالكرة المائية العين إذ سرت إضافة ركب العزم فيها البلاقع

وهذا نزول الجسم من عند ربه ... وللروح تنزيل لخلق متابع
وذلك أن الروح فى المركب الذى ... لها هى روح الحق فافهم أسامع
فليس لها فيه هبوط منزل ... وليس لها فيه صعود مرافع
وذلك للأرواح أخلق حقيقة ... وذلك تنزيل لها وقواطع
فى المثل المفروض وجه تنوعت ... سرائره حتى بدا متتابع
فيبرز فى حكم المرات إلى الورى ... على الجرم والمقدار إذ ذاك طابع
فتنويعها ذاك التجلى هو الذى ... تسميه روحا وهو بالنفخ واقع
وإلا فلا اسم غير . . . . (١)
. . . . (١) ... وليس له إلا الصفات مواضع
تنزه ربى عن حلول بقدسه ... وحاشاهما بالإتحاد بواقع
ومهما تجد الروح جسما فإنها ... لتصوير ذاك الجسم فى الصور تابع
فيتبعها فى صورها وارتفاعها ... ويتبعه إن جر يوما طبائع
فمن سبقت لله فيه عناية ... فغير مكوث فى التراب يسارع
فإن روفقت بالتزكيات رقت به ... إلى المركز العالى الذى هو رافع
وإن ضعفت واستولت النفس والهوى ... فكن تبعا للجسم إذ قام تابع

---

(١) بياض بالأصل ·

فتشني به في سجن طبع ولورقت ... به كان مسعودا وفي العز راتع
وإن زول الجسم للخلق في الثرى ... سواء فما من بعد ذاك تنازع
ومن بعدته السابقات فإنه ... له بين نبت والثريا تراجع
. . . . (١)
تركت لها الأسباب شغلا بحبها ... ووجدا بنار قدحوتها الأضالع
وأشغلني شغلي بها عن شواغلي ... وفيها فإني للعذار مخالع
خلعت عذاري في الهوى وزهدت في
مكاني وإمكاني وما أنا جامع
وألقيت إنساني فألقيت مهجتي
وجافيت نومي بل جفتني المضاجع
وسلمت نفسي للصبابة راضيا ... بحكم الهوى تحت المذلة خاضع
وفوضت أمري في هواها توكلا ... ليقطع في حكمي بما هو قاطع
فأنزلني من أوج عزي ذلة ... فلي بعد رفع الإقتدار تواضع
عنيت فأغناني عنائي بحبها ... وعندي أمان نحوها وضرائع
طرحت على أرض الهوان رئاستي
لها نعمة طرحا لقدري رافع

(١) بياض بالأصل .

لبست لباس الوجد فيها خلاعة　　لباس الهوى فى الحب ما أنا خالع
وقد أودعتنى تربة الذل والشقا　　وجرد واجى راحل ومواد ع
ولى فى هواها هتكة وتبذذ　　على أن قلبى فى هواها مضارع
جعلت اعتقادى فى هواها وسياتى
فياضعف مشفوع له الفقر شافع
وجئت إليها راغبا متولها　　ولكن بها منى إليها أسارع
سكنت الفلا مستوحشا عن أنيسها
ومستأنسا بالوحش هن روائع
أنوح فتشجينى حمام سواجع　　وأبكى فتحكينى غمام هوامع
ولى إن عوى ذيب على فقد إلفه　　زفير له فى الخافقين ضرائع
وإن غردت قمرية فوق أيكة　　وجاوب قمرى على الأيك ساجع
فإنى لآفاتى وتكدير لوعتى　　بتلك الفيافى والظلام أراجع
ولى بمريض الجفن سقم مبرح　　ولى فى عصى القلب دمع مطاوع
نحلت من الآلام حتى كأننى　　مقدر مفروض وما هو واقع
فلو نقط الخطاط حرفا لهيكلى　　على سطح لوحى ما رآه مطالع
فجسمى وأسقامى محال وواجب　　ودمعى وخدى أحمر وفواقع

أسائل من لاقيت والدمع سائل
عن القلب والسكان والقلب جازع

تحارب صبرى والكرى فتباينا
وسالم قلبى الحرق فهو مبائع

وقد قيدت بالنجم أهداب مقلتى
كما أطلقت عن قيدهن المدامع

وأسقط قدرى فى الهوى شنعة الهوى
وعنـــدى أن العز تلك الشنائع

فكم مربى من كنت أرفع قدره كأنى له من بعد ذلك واضع

وينكف إن ألقاه بى متطيرا ومالى إن حدثته لى سامع

فمالى فى الأحياء إن عشت صاحب ومالى حقا إذ أموت مشائع

ولا لى إن حدثتهم من محادث
ولا إذ دهانى الخطب فيهم مدافع

كأن لم أكن فى الحى أرفع أهله مكاناوقدرى فى المكالة رافع

ذللت إلى أن خلت أنى لم أزل أذل لهم قدرا فها أنا خاضع

وأحسب أن الأرض تنكف أن ترى
ولى فى ثراهـــا مذهب ومشارع

رعى الله إخوانا رعوا لمودتى فهن لقلبى حين كن توابع

نعم وسقى وجد مدى الدهر مؤنسى

فكم لك يا وجدى علىّ صنائع

فيا زفراتى اصعدى وتنفسى

فقد هبطت من ضيق جفنى المدامع

ويا كبدى فى الحب ذوبى صبابة ويا كمدى دم إننى بك يانع

ويا جسدى هل فيك من رمق فما

أراك سوى بالوهم عنــدى طالع

ويا مهجتى الرسم منك قد اندرس

ويا طلل الأحشاء فجعلك صادع

وياجفنى المقروح قد فنى الدما وياقلبى المجروح هل أنت فازع

ويا ذاتى المعــدوم هل لك بعثة

ويا صبرى المهزوم هل أنت راجع

ويا خفقان القلب زدنى كآبة وبنار وجدى قدمنين أضالع

ويا نفسى الحراء موتى تلفها فما لك فى ذنب المحبة شافع

ويا روحى المبعوث صبرا على البلا

ويا عقلى المسلوب هل أنت راجع

ويامابقى فى الوهم منى وجوده هدمتك شيئا وقعه متمانع
ويامسقمى زدنى أسى وتبددا فليس لسقمى غير صبرى نافع
ويا عاذلى كم تعذلنى وإن أكن إلى العذل أصغى فللذكر سامع
وياقاضيا فى الحب يقضى بعدله تحكم بجور إننى لك طائع
جعلت وجودى ما يمن لها به وإن وجودى مكرة وخدائع
فمن مصر أرضى قد خرجت المدين اا
على وشعيب القلب فيه صرائع
تلاقيت بنتى عادتى وطبائعى يذودان أغنامى ومائى نابع
سقيت من الماء الغنيم غنائما ومن رعى زهر العلم هن شوابع
وجاء على استحياء ذاتى بربها بتوحيدها إحداهما وتسارع
فلما تزوجت الحقيقة صنتها وأمهرها منى حماة شرائع
صعدت معالى طور قلبى مناديا لربى حتى أن بدت لى لوامع
وخلفت أهلى وهى نفسى تركتها وجئت إلى النار التى هى ساطع
فنادانى التوحيد نعليك دعهما فها أنا ذا للروح والجسم خالع
وكلمنى التحقيق من شجر الحشا بأنى بالوادى المقدس راتع
وسرت بعقلى أى فتاى وحوته إلى مجمع البحرين والعقل تابع
هناك نسبت الحوت وهو أنيتى فسبح فى بحر الحقيقة شارع

على أثرى ارتديت حتى وجدتنى هو الأصل إذ نفس أنا وهو طالع
فلما تعارفنا ولم يبق نكرة أردت اتباعا كى يفوز المتابع
فأخرق فى بحر الإله سفينتى ونحر غلام الشرك إذ هو خادع
وجاء بلاد الله قرية غزة وفيها لقلبى منجع ومخادع
أردنا ضيافات أبوا أن يضيفوا لاسدل فى وجه البدور طوالع
هناك جدار الشرع خضرى أقامه لئلا ترى بالعين تلك الشوارع
فإن فهمت أحشاك ماقلت مجملا وإلا فبالتفصيل ما أنا واضع
وإنى على تنزيه ربى لقائل بأوصافه عنى فحق صادع
أنا الحق والتحقيق جامع خلقه
أنا الذات والوصف الذى هو تابع
فأحوى بذاتى ما علمت حقيقة ونورى فيها قد أضاء فلامع
وبسمع تسبيح الصوامت مسمعى
وإنى لأسرار الصدور أطالع
وأعلم ما قد كان فى زمن مضى وحالا وأدرى ما أفاد مضارع
ولو خطرت فى أسود الليل نملة على صخرة صماء إنى أطالع
أعد الثرى رملا مثاقيل ذرة
وأحصى عديد القطر وهى هوامع

وأحكم موج البحر وسط حطيمها ... عيارا ومقدارا وما هو واقع

وأنظر تحقيقا بعيني محققا ... قصور جنان الخلد وهي قلائع

وأتقن علما بالإحاطة جملة ... لأوراق أشجار هناك أيانع

وكل طباق في الجحيم عرفتها ... وأعرف أهليها ومن يك واضع

وأنواع تعذيب هناك علمتها ... وأهوالها طرا وهن فظائع

وأملاكها حقا عرفت ولم يكن ... على يخاف من أنا له واضع

وكل عذاب ثم ذقت ولم أبل ... ألأخشى وإني للمقامين واضع

وكل نعيم إني لمنعم ... به وهو لي ملك وما ثم رادع

وكل عليم في البرية إنه ... كقطرة ماء من بحاري دافع

وكل حكيم كان أو هو كائن ... فمن نوري الوضاح في الخلق لامع

وكل عزيز بالتجبر قاهر ... ببطش اقتداري في البرية قامع

وكل هدى في العالمين فإنه ... هداي ومالي في الوجود منازع

أصور مهما شئت من عدم كما ... أقدر مهما شئت فهو مطاوع

وأفني إذا شئت الأنام بلمحة ... وأحيي بلفظي من حوته البلاقع

وأجمع ذرات الرسوم من الثرى ... وأنشي كما كانت وإني بادع

وفي البحر لو نادى باسمي حوته ... أجبت وإني للمناجين سامع

وفي البر لو هب الرياح على الثرى ... أحيط وأحصي ما حوته البلاقع

وخلف معالى قاف او يستغيث بى مغاث فإنى ثم للضر دافع
وأقلب أعيان الجبال فاو أقل لها ذهبا كونى فهن فواقع
وأجرى إذا شئت السفائن فى الثرى
وفى البحر لو أبغى المطى تسارع
وأن طباق العرش تحت قوائم ورجلى على الكرسى ثمة رافع
وبيتى بسقف العرش حاشاى ليس لى
مكان ومن فيضى خلقن المواضع
وأجرى على اللوح المقادير ماأشا وبالقلم الأعلى فكفى بارع
وسدرة أوج المنتهى لى موطئ وغاية غايات الكمال مصارع
وكل معاش الخلق تجريه راحتى لراحتهم جودا ولست أصانع
وفى كل جزء من تراكيب هيكلى
لو سعى والكرسى والعرش ضائع
فلا فلك إلا وتحويه قدرتى ولا ملك إلا لحكمى طائع
وأمحو لما قد كان فى اللوح ثابتا فتثبت إذ وقعت ثم وقائع
وإنى على هذا عن الكل فارغ وليس به لى همة وتنازع
ووصفى حقا فوق ماقد وصفته وحاشاى من حصر ولالى قاطع
وإنى على مقدار فهمك واضع وإلا فلى من بعد ذاك بدائع

وثم أمور ليس يمكن كشفها بها قلدتنى عقدهن شرائع
قفوت بها آثار أحمد تابعا فأعجب بمتبوع وهاهو تابع
بنى له فوق المكانة رتبة ومن عينه للناهلين منابع
عليه سلام الله منى وإنما سلامى على نفسى النفيسة واقع

ومن النظم المنسوب إليه

رضى الله عنه ونفعنا به

على الأولياء ألقيت سرى وبرهانى فهاموا به فى سر سرى وإعلانى
فأسكرهم كأسى فهاموا بخمرتى
سكارى حيارى من وجودى وعرفانى
أنا كنت قبل القبل قطبا مبجلا
تطوف بى الأكوان والرب أسمانى
خرقت جميع الحجب حتى وصلته مقاما به قد كان جدى له دانى
وقد كشف الأستار عن نور وجهه
ومن خمرة التوحيد بالكأس أسقانى

نظرت إلى المحفوظ والعرش نظرة
فلاحت لى الأنوار والرب أعطانى

أنا قطب أقطاب الوجود بأسرها أنا بازهم والكل يدعى بغلمانى
ولو أننى ألقيت سرى لدجلة لغارت وراح الماء فى سر إعلانى
ولو أننى ألقيت سرى إلى لظى لأخمدت النيران من عظم سلطانى
ولو أننى ألقيت سرى لميت لقام بإذن الله فى الحال نادانى
سلوا عنى السرى سلوا عنى المنا سلوا عنى القاصى سلوا عنى الدانى

سلوا عنى العلا سلوا عنى الثرى
وما كا تحت التحت والإنس والجان

فيا معشر الأقطاب هلموا لحضرتى
وطوفوا بحاناتى واسعوا لأركانى

وغوصوا بحارى تظفروا بجواهرى
وتبرى وياقوتى ودرى ومرجانى

وقفت على الإنجيل جمعا شرحته
أخى ورفيقى كان موسى بن عمران

وحليت رمزا كان عيسى بحله به كان يحيي الموتى والرمز سريانى

وخضت بحار العلم من قبل نشأتى
وفككت فى التوراة رمزة عبرانى
فمن فى رجال الله نال مكانتى
وجدى رسول الله فى الأصل ربانى
ووالدتى الزهراء بنت محمد
أبوها رسول الخلق عزبهم شانى
أنا الكوكب الدرى أنا شمس خلتها
أنا الفرد قد ألبست فى الحب تيجانى
أنا قادرى الوقت عبد القادر
واسمى محيي الدين والأصل كيلانى

انتهت

وقد زاد فى صدرها الشيخ الإمام المنزلى بيتا للترجيع فقال :
صلاتى على المختار من خير عدنان
سلامى على الجيلانى شيخى وبرهانى

ومن النظم المنسوب إليه

رضى الله عنه ونفعنا به

دنوت من المحبوب أعلى المراتب فأوهبنى بالقرب أزكى المواهب

وتوجنى تاجا على خلع الرضى بأثنى ملابيس فنلت مآربى

وقلدت تصريف الوجود بأسره خليفة بالكرسى أجلست نائبى

ونادمنى من غير واسطة وقد بدالى جهرا آلا حجاب وحاجب

أنا خادم فى حضرة نبوية قريب له قربا كقوس حواجب

فوصف جميعى لايحاط بقدره وهزمى لخانى ينثنى وهو هائبى

وحكمنى كل الدنان وخانها فلا تمل إلا تلانى عاقب

وماشرب العشاق قدما وبعدنا من الحان إلا بعض سؤر مشاربى

سلكت طريقا ليس يسلكه سالك وكان حبيبى لى دليلا مصاحبى

خلوت بمن أهوى بغير مزاحم فيا حبذا ماطبت لى من مآرب

ولى همة تعلو على كل همة ومطلب عزمى مهلك كل طالب

أنا فى الهوى سلطان كل متيم لمملكتى فى الأرض حنت ركائبى

لواء لوائى فى الوجود مخيم محقق تملا الخافقين ذوائبى

نشرت بأعلامى على كل عاشق مشارق أرض الله ثم المغارب

وأهل الهوى جندى وحكمى عليهم
وفى سائر الآفاق سارت مواكبى

وجالت خيولى الأرض شرقا ومغربا
وفى طولها والعرض دارت نجائبى

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة وجملتهم لى يتبعون مذاهبى

إذا اجتمعوا فى جامع العشق جئتهم
خطيبا أعظهم من بليغ عجائبى

وكلهم بى يقتدون حقيقة بعصرى وبعدى هكذا كل طالب

قعود جلوس ينظروا قمت منبرى
ويجروا دموعا بالدماء سواكب

وأقدامهم من بعد ذلك راعيا إماما لهم بى يقتدى كل راغب

وقد أفلت جميع الشموس وشمسنا ليوم اللقا إشراقها فى كواكب

وبى وله قبل الوجود وكونه ولى قدم قد جال فى جذب جاذبى

وهذا مقامى واتصالى بخالقى وذكرى لحظى من حبيب الحبائب

محمد المرسول للخلق رحمة وجاهد فى كفارهم بالقواضب

إمامى رسول الله جدى وقدوتى وعاهدنى من كفه وهو طالبى

أتانى مرار اقبل عهدى وقال لى أنا جدك افخر بى فخرت بخاطب

ولى خيمة خضراء فى مشرق لها وفى مغرب أطنابها بتراكب

وتنصب فى حشر علينا تظللنا رجالى وأصحابى بها فى مناصب

وماقلت هذا القول فخرا وإنما أتى الإذن حتى تعرفون مراتبى

ودقت لى السادات فى الأرض والهوى

طبولا لعزى كم لها ألف ضارب

فبلغ سلامى خير من وطىء الثرى وأشرف خلق الله ماش وراكب

انتهت

وقد زاد فيها بعض الفضلاء المريدين بيتاً للترجيع والتبرك فقال :

صلاتى على المختار بدر الكواكب وآله والأصحاب أهل المناقب

ومن نظم الشيخ المنسوب إليه
رضى الله عنه ونفعنا به

رفعت على أعلى الورى أعلامنا   لما بلغنا فى الغرام مرامنا
نحن الملوك على سلاطين الملا   والكائنات ومن بها خدامنا
فبذلنا للحب نلنا عزة   وعلى الرؤوس تنقلت أقدامنا
إنا وإن أخر الزمان فإننا   فقنا الذين تقدموا قدامنا
فبقربنا من قاب قوسين لقد   رشقت قلوب المنكرين سهامنا
فجمالنا ملأ الوجود وحالنا   لا يستطاق ولا يفل حسامنا
ضربت طبول العز فى ساحاتنا   وعلى السما شرفا بدت خيامنا
ولأجلنا وجد الزمان وكونه   والدهر عبد والزمان غلامنا
ولنا الولاية من «ألست بربكم»   وإمامنا المهدى فهو ختامنا

ثم الصلاة على النبى محمد   والآل والأصحاب ثم صحابنا

ومن نظمه أيضا

رضى الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين

سألتك ياجبار يا سامع الندا ... وياحاكم احكم فى الذى قد تجبرا

فأنت الذى ترجى لدفع مضرتى ... وأنت مغيث من دعاك من الورى

سألتك بالإسم العظيم فمن بغى ... علىّ امتحنه بالعماء فلا يرى

أجب دعوة المظلوم يشكو مصيبة ... كسير الجناح لانصير له يرى

فإن لم يقع غيث فما وجه حيلتى ... وأين الفرار من عدو تجورا

فيا عالم النجوى وياسامع الندا ... ويامستغاث أهلكن من تجبرا

فكل مصاب يستغاث بمثله ... وإنى لاأشكو لغيرك ماجرى

فكيف يخيب من بقلبه قد دعا ... وأمرك فى القرآن يتلى على الورى

فأنت المغيث والنصير على العدا ... وقولك حق لاخلال ولا امترا

بطه مع الفرقان والبقر قبلها ... وسبح مع الأنفال مع سورة برا

ويس مع حم كل مع النسا ... وبالأنبياء المرسلين ومن قرا

انتهى ما وجد من هاته القصيدة وكنت عرفت أنها أطول من هذا القدر الذى أثبته هنا .

ومن نظمه أيضا رضى الله عنه ونفعنا بعلومه

أتطلب أن تكون كثير مال ويسمع منك دوما فى كل قال
ومن كل النساء ترى ودادا تسر به ومن كل الرجال
ويأتيك الغنى وترى سعيدا مهابا مكرما من كل وال
وتكفى كل حادثة وضر وتبقى آمنا فى كل حال
فقل ياحى ياقيوم ألفا مكملة على عدد الليالى
بليل أو نهار فإن فيها ذكرته يرخص كل غال
وفى ذكراك يا وهاب سر ينبيك ما تريد من السؤال
وتكبر عند كل الناس طرا وتقبض باليمين وبالشمال
فلازم ما ذكرت ولا تدعه ففيه تبلغ الرتب العوالى

وله أيضا رضى الله عنه ونفعنا به وبما جاء به آمين

أنا القرآن والسبع المثانى وروح الروح لاروح الأوانى

فؤادى عند محبوبى مقيم يناجيه وعندكم لسانى

فلا تنظر بطرفك نحو جسمى وعد عن التناغم بالمغانى

وغص فى بحر ذات الذات تنظر معانى ما تبدت للعيان

وأسرارى قراءة مبهمات مسترة بأرواح المعانى

فمن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان

كحلاج المحبة إذ تبدت له شمس الحقيقة بالتدانى

وقال أنا هو الحق الذى لا يغير ذاته مر الزمان

وله أيضا رضى الله عنه ونفعنا به آمين

ولما صفا قلبى وطابت سريرتى ومنى دنا صحوى بفتح البصيرة
شهدت بأن الله مولى الولاية وقد من بالتصريف فى كل حالة
سقانى ربى من كؤوس شرابه فأسكرنى حقا فهمت بسكرتى
وملكنى كل الجنان وماحوى وكل ملوك العالمين رعيتى
وفى حالنا فادخل ترى الكأس دائرا
وما شرب العشاق إلا بقيتى
رفعت على من يدعى الحب فى الهوى
فقربنى المولى وفزت بنظرتى
وجالت خيولى فى الأراضى جميعها
وزفت لى الكاسات من كل وجهة
ودقت لى الرايات فى الأرض والسما
وأهل السما والأرض تعلم سطوتى
وشاوش ملكى سار شرقا ومغربا
وصرت لأهل الكرب غوثا ورحمة

فمن كان مثلى يدعى فيكم الهوى　　يطاولنى إن كان يقوى لسطوتى
أنا كنت فى العليا بنور محمد　　وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة
شربت بكاسات الغرام سلافة
بها انتعشت روحى وجسمى ومهجتى
وصرت أنا الساقى لمن كان حاضرا　　أدير عليهم كرة بعد كرة
وقمت بباب الله وحدى موحدا
ونوديت ياجيلانى ادخل لحضرتى
ونوديت ياجيلانى ادخل ولا تخف
عطيت اللوا من قبل أهل الحقيقة
ذراعى من فوق السموات كلها
ومن تحت بطن الحوت مديت راحتى
وأعلم نبت الأرض كم من نباتة　　وأعلم رمل الأرض كم هو رملة
وأعلم علم الله أحصى حروفه　　وأعلم موج البحر كم هو موجة
وماقلت هذا القول فخرا وإنما　　أتى الإذن حتى تعرفون حقيقتى
وماقلت حتى قيل لى قل ولا تخف
فأنت ولى فى مقام الولاية
أنا كنت مع نوح بأعلى سفينة　　بحارا وطوفانا على كف قدرتى
وكنت وإبراهيم ملقى بناره　　وما برد النيران إلا بدعوتى

وكنت مع إسمعيل فى الذبح شاهدا
وليس نزول الكبش إلا بفتيتى

وكنت مع يعقوب فى غشو عينه وما برئت عيناه إلا بتفلتى

وكنت وموسى فى مناجاة ربه
وموسى عصاه من عصاى استمدت

وكنت مع عيسى وفى المهد ناطقا وأعطيت داودا حلاوة نغمتى

أنا كنت مع أيوب فى زمن البلا وما برئت بلواه إلا بدعوتى

ولى نشأة فى الحب من قبل آدم
وسرى سرى فى الكون من قبل نشأتى

أنا الذاكر المذكور وذكر الذاكر أنا الشاكر المشكور شكرا بنعمة

أنا العاشق المعشوق فى كل مضمر أنا السامع المسموع فى كل نغمة

أنا الواحد الفـــرد الكبير بذاته
أنا الواصف الموصوف علم الطريقة

ملكت بلاد الله شرقا ومغربا وإن شئت أفنيت الأنام بلحظتى

وقالوا فأنت القطب قلت مشاهدا وتال كتاب الله فى كل ساعة

وناظر ما فى اللوح من كل آية وما قد رأيت من شهود بمقلتى

فمن كان يهوانا يجى لمحلنا ويدخل حمى السادات يلق الغنيمة

فلا عالم إلا بعلمى عامــل ولاسالك إلا بفرضى وسنتى
وقالوا أياهذا تركت صلاتك ولم يعلموا أنى أصلى بمكة
ولا مسجد إلا ولى فيه ركعة ولا منبر ولى فيه خطبة
ولولا رسول الله بالعهد سابق لأغلقت أبواب الجحيم بعظمتى
مريدى لك البشرى تكون على الوفا
إذا كنت فى ضيق فتنجو بهمتى
مريدى تمسك بى وكن بى واثقا فأحميك فى الدنيا ويوم القيامة
أنا لمريدى حافظ ما يخافــه وأحرسه من كل شر بلية
وكن يامريدى حافظا لعهودنا أكن حاضر الميزان يوم القيامة
وإن شحت الميزان والله أنالها فعنى عنايات بلطف الحقيقة
حوائجكم مقضية غير أننى أريدكم تمشوا الطريق الحميدة
وأوصيكم كسر النفوس فإنها مراتب عز عند أهل الطريقة
ومن حدثته نفسه بتكبر تجده صغيرا فى عيون الأقلة
ومن كان فى حالاته متواضعا مع الله عزته جميع البرية
فجدى رسول الله طه محمد أنا عبد قادر وشيخ الطريقة

واعلم بأن البيت الأول منها لم يعرف فى أول القصيدة عند أهل الطريقة رضوان الله عليهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم آمين .

ومن نظمه رضى الله عنه وأرضاه وهدانا بهداه :

نظرت بعين الفكر فى حان حضرتى
حبيبا تجلى للقلوب فجنتى

سقانى بكأس من مدامة حبه
فكان من الساقى خمارى وسكرتى

ينادمنى فى كل يوم وليلة
ولازال يرعانى بعين العناية

ضريحى بيت الله من جاء زاره
بهرولة يحظى بعز ورفعة

وأمرى بأمر الله إن قلت كن يكن
وكل بأمر الله حكمى وقدرتى

فأصبحت بالوادى المقدس جالسا
على طورسينا قد سموت بخلوتى

وطافت بى الأكوان من كل جانب
فصرت لها أهلا بتحقيق نسبتى

ولى علم فى ذروة المجد قائم
رفيع البنا تأوى له كل أمة

فلا علم إلا من بحار وردتها
ولا نقل من صحيح روايتى

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا
وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة

وعاينت إسرافيل واللوح والرضا
وشاهدت أنوار الجلال بنظرتى

وشاهدت ما فوق السموات كلها
كذا العرش والكرسي فى طي قبضتي
وكل بلاد الله ملكي حقيقة وأقطابها من تحت حكمي وطاعتي
وجودي سرى فى سر سر الحقيقة ومرتبتي فاقت على كل رتبة
فذكرى جلا الأبصار بعد غشائها وأحيا فؤاد الصب بعد القطيعة
حفظت جميع العلم صرت طرازه
على خلعة التشريف فى حسن خلوتي
قطعت جميع الحجب للحب صاعدا
ولا زلت أرقى سائرا بمحبتي
تجلى لى الساقي وقال إلىّ قم
فهذا شراب الحب فى حان حضرتي
تقدم ولا تخش كشفنا حجابنا تجلى بحاني والشراب ورؤيتي
شطحت بها شرقا وغربا وقبلة وبرا وبحرا من نفائس خمرتي
فلاحت لى الأسرار من كل جانب وبانت لى الأنوار من كل وجهة
وشاهدت معنى لو بدا كشف سره
لصم الجبال الراسيات لدكت
ومطلع شمس الأفق ثم مغيبها وأقطع أرض الله فى حال خطوتي
أقلبها فى راحتي ككورة أطوف بها جمعا كأسرع لمحة

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة
على سائر الأقطاب قولى وحرمتى

توسل بنا فى كل هول وشدة أغيثك فى الأشياء طرا بهمتى
أنا لمريدى حافظ ما يخافه وأحرسه من كل شر وفتنة
مريدى إذا ما كان شرقا ومغربا أغثه إذا ما سار فى أى بلدة
فيامنشدا للنظم قله ولا تخف فإنك محروس بعين العنا
وكن قادرى الوقت لله مخلصا تعش سعيدا صادقا بمحبتى
ونثنى صلاة الله ثم سلامه على خير خلق الله جدى ونسبتى

هذه القصيدة المباركة

المنسوبة لى القطب الربانى والغوث الصمدانى سيدنا السيد عبد القادر الجيلانى قدس سره ، مشهور اسمها عند العوام بالقصيدة الغوثية وعند الخواص بالخمرية أنشدها حضرة الشيخ فى حالة الجذبة والاستغراق : وخواصها كثيرة :

منها أن من داوم على قراءتها كل يوم إحدى عشرة مرة يصير مقبولا عند الله تعالى ومحبوبا عند الخلق :

ومنها أن من جعلها من أوراده تزيد فيه قوة الحفظ فلاينسى وما قرأ أو سمع .

ومنها أن من قرأها يزيد فهمه بالعربية وإن لم يكن من أهلها .

ومنها أن من قرأها أربعين يوما لأى حاجة كانت فلا يتم الأربعون إلا وقد قضيت حاجته بإذن الله تعالى .

ومنها من حملها معه وقرأها كل يوم ثلاث مرات أو سمعها من غيره ونظر إليها كل صباح مع حسن الاعتقاد يرى إن شاء الله تعالى فى منامه صاحبها أعنى غوث الثقلين ويتبرك بزيارته وكلامه ، ويكون معظما عند الأمراء والملوك .

ومنها أن بركاتها عامة فبأى نية يقرؤها التالى يحصل مراده مع الاعتقاد الصحيح ، وكلما أراد أن يقرأها يهدى أولا فاتحة الكتاب لصاحبها قطب الغوث ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات بهذه الصيغة الجليلة ، وهى : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد معدن الجود والكرم ، ومنبع العلم والحلم والحكم ، وبارك وسلم .

والقصيدة المذكورة هى هذه :

سقانى الحب كاسات الوصال	فقلت لخمرتى نحوى تعالى
سعت ومشت لنحوى فى كؤوس	فهمت بسكرتى بين الموالى
وقلت لسائر الأقطاب لموا	بحانى وادخلوا أنتم رجالى
وهيموا واشربوا أنتم جنودى	فساقى القوم بالوافى ملا لى
شربتم فضلتى من بعد سكرى	ولا نلتم علوى واتصالى
مقامكم العلا جمعا ولكن	مقامى فوقكم مازال عالى
أنا فى حضرة التقريب وحدى	يصرفنى وحسبى ذو الجلال
أنا البازى أشهب كل شيخ	ومن ذا فى الرجال أعطى مثالى
درست العلم حتى صرت قطبا	ونلت السعد من مولى الموالى
كسانى خلعة بطراز عز	وتوجنى بتيجان الكمال
وأطلعنى على سر قديم	وقلدنى وأعطانى سؤالى
طبولى فى السما والأرض دقت	وشاويش السعادة قد بدا لى
أنا الحسنى والمخدع مقامى	وأقدامى على عنق الرجال
وولانى على الأقطاب جمعا	فحكمى نافذ فى كل حال

نظرت إلى بلاد الله جمعا كخردلة على حكم اتصال
فلو ألقيت سرى فوق نار لخمدت والطفت من سر حالى
ولو ألقيت سرى فوق ميت لقام بقدرة المولى مشالى
ولو ألقيت سرى فى جبال لدكت واختفت بين الرمال
ولو ألقيت سرى فى بحار لصار الكل غورا فى الزوال
وما منها شهور أو دهور تمر وتنقضى إلا أتى لى
وتخبرنى بما يأتى و يجرى وتعامنى فأقصر عن جدالى
بلاد الله ملكى تحت حكمى ووقتى قبل قلبى قد صفالى
مريدى لا تخف واش فإنى عزوم قاتل عنـــد القتال
مريدى لا تخف الله ربى عطانى رفعة نلت المعالى
مريدى هم وطب واشطح وغنى وافعل ماتشا فالإسم عالى
وكل ولى له قدم وإنى على قدم النبى بدر الكمال
أنا الجيلى محيي الدين إسمى وأعلامى على رأس الجبال
وعبد القادر المشهور إسمى وجدى صاحب العين الكمال

ومن النظم المنسوب إليه

رضى الله عنه ونفعنا به هاته القصيدة

روى أنها مجربة لقضاء الحوائج وتفريج الكروب :

يامن تحل بذكره عقد النوائب والشدائد
يامن إليه المشتكى وإليه أمر الخلق عائد
ياحى يا قيوم يا صمد تنزه عن مضادد
أنت العليم بما بليـ ـت به وأنت عليه شاهد
أنت المنزه يا بديـ ـع الخلق عن ولد ووالد
أنت الرقيب على العبا د وأنت فى الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا عك والمذل لكل جاحد
إنى دعوتك والهمو م جيوشها قلبى تطارد
فرج بحولك كربتى يامن له حسن العوائد
أنت الميسر المسبـ ـب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجاً قريبا يا إلهى لا تباعد
فخفى لطفك يستعا ن به على الزمن المعاند

كن راحمى فلقد أيسـ ت من الأقارب والأباعد
وعلى العدا كن ناصرى لاتشمتن بى الحواسد
ثم الصلاة على النبى وآله الغر الأماجد
ماجن ليل أو سجى أو خر للرحمن جاد

ومن نظمه أيضا رضى الله عنه ونفعنا به آمين :

طف بحانى سبعا ولذ بذمامى وتجرد لزورتى كل عام
أنا سر الأسرار من سرسرى كعبتى راحتى وبسطى مدامى
أنا نشر العلوم والدرس شغلى أنا شيخ الورى وكل إمام
أنا فى مجلسى نرى العرش حقا وجميع الأملاك فيه قيام
قالت الأوليا جميعا بعزم أنت قطب على جميع الأنام
قلت كفوا ثم اسمعوا نص قولى إنما القطب خادمى وغلامى
كل قطب يطوف بالبيت سبعا وأنا البيت طائف بخيامى
كشف الحجب والستور لعينى ودعانى لحضرة ومقامى
فاخترقت الستور جمعا لحبى عند عرش الإله كان مقامى
وكسانى بتاج تشريف عز وطراز وخلعة باختتام

فرس العز تحت سرج جوادى ووكابى عال وغمدت محامى
وإذا ما جذبت قوس مرامى كان نار الجحيم منها سهامى
سائر الأرض كلها تحت حكمى وهى فى قبضتى كفرخ الحمام
مطلع الشمس ثم أقصى الغروب خطوتى وأقلها باهتمام
أمر يدى لك الهنا بدوام عيـ ـش عز ورفعة واحترام
ومريدى إذا دعانى بشرق أو بغرب أو نازل بحر طام
فأغثه لو كان فوق هواء أنا سيف القضا لكل خصام
أنا فى الحشر شافع لمريدى عند ربى فلا يرد كلامى
أنا شيخ وصـــالح وولى أنا قطب وقدوة للأنام
أنا عبد لقادر طاب وقتى جدى المصطفى شفيع الأنام
فعليه الصلاة فى كل وقت وعلى آله بطول الدوام

ومن نظمه أيضا رضى الله عنه

ما فى الصبابة منهل مستعذب إلا ولى فيه الألذ الأطيب
أوفا الوصال مكانة مخصوصة إلا ومنزلتى أعز وأقرب
وهبت لى الأيام رونق صفوها فحلت مناهلها وطاب المشرب

وخلوتك مخطوبا لكل كريمة   لايهتدى فيها الهيب فيخطب
أنا من رجال لايخاف جليسهم   ريب الزمان ولا يرى مايرهب
قوم لهم فى كل مجد رتبة   علوية وبكل جيش موكب
أنا بلبل الأفراح أملا دوحها   طربا وفى العلياء باز أشهب
أضحت جيوش الحب تحت مشيئتى   طوعا ومهما رمته لايعزب
أصبحت لا أملا ولا أمنية   أرجو ولا موعودة أترقب
مازلت أرتع فى ميادين الرضا   حتى وهبت مكانة لا توهب
أضحى الزمان كحلة مرقومة   تزهو ونحن لها الطراز المذهب
أفلت شموس الأولين وشمسنا   أبدا على فلك العلى لا تغرب

ومن كلام بعض محبيه فيه

رضى الله عنه

بك الشهور تهنى والمواقيت   يا من بألفاظه تعلو اليواقيت
الباز أنت فإن تفخر فلا عجب   وسائر الناس فى عينى فواخيت
أشم من قدميك الصدق مجتهدا   لأنه قدم فى نعله الصيت

ومن النظم المنسوب إليه رضى الله عنه ونفعنا به :

إذا ضاق حالى اشتكيت لخالق قدير على تيسير كل عسير
فما بين إطباق الجفون وحلها إنجبار كسير وانفكاك أسير
أيظلمنى دهرى وأنت وسيلتى وأشكو من الأسوا وأنت مجيرى
وأظما وأنت العذب فى كل مورد وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
وعار على حامى الحمى وهو قادر إذا ضاع فى البيدا عقال بعير
ولا حامى المملوك إلا أميره فها أنا مملوك وأنت أميرى

ومن النظم المنسوب إليه رضى الله عنه ونفعنا به :

سقانى حبيبى من شراب ذوى المجد فأسكرنى حقا فغبت على وجدى
وأجلسنى فى قاب قوسين سيدى
على منبر التخصيص فى حضرة المجد
حضرت مع الأقطاب فى حضرة اللقا
فغبت به عنهم وشاهدته وحدى

فما شرب العشاق إلا بقيتى وفضلة كاسات بها شربوا بعدى

ولو شربوا ماقد شربت وعاينوا من الحضرة العليا شراب ذوى الود

لأمسوا سكارى قبل أن يقربوا لها وأمسوا حيارى من مصادمة الورد

أنا البدر فى الدنيا وغيرى كواكب وكل فتى يهوى فذا لكم عهدى

وبحرى محيط بالبحار بأسرها

وعلمى حوى ما كان قبلى وما بعدى

سرى له الأسرار نزجر فى الدجا

كزجر سحاب الأفق من ملك الرعد

فإن شئت أن تحظى بعز وقربة

فداوم على حبى وحافظ على عهدى

ومن النظم المنسوب إليه رضى الله عنه ونفعنا به :

رفع الحجاب عن بدور الكمال مرحبا مرحبا بأهل الجمال

ملكونى بحبهم ورضوا بى عبد رق فسدت بين الموالى

فرحونى بصرف راح هواهم فتربيت فى حجور الدلال

عاملونى بلطفهم فى غرامى فحلا فى بصائر الناس حالى

إن أرادوا الصدود يفني وجودي   رحموني وأنعموا بالوصال
وإن ضللت عنهم هدوني   هكذا هكذا تكون الموالي
سادتي سادتي بحقي عليكم   إنني عندكم عزيز وغالي
ما بقا لي حبيب قلب سواكم   مات وهمي بكم وبان خيالي
بحياتي عليكم يا سقاتي   روقوا الكاس إن حبي ملا لي
وأديروا الكؤوس بين الندامى   فجميع الأنام سكرى بحالي

ومن النظم المنسوب إليه

رضي الله عنه ونفعنا به :

أيا نفحة الألطاف من لطف ربنا   ويا سرعة اليسر المشتت للعسر
ويا رحمة المولى السماوية التي
تهب هبوب للريح من حيث لا أدري
إغاثة ملهوف أردت بحاله   نوائب لا تخفاك يا عالم السر
ولما دهاني الحال واشتد خطبه
شكرت إلى رحماك يا رب من ضر

فمن ذا الذى أرجو سواك لفاقتى
وضعفى تداركنى بلطفك فى الأمر

فعجل وسارع يا سريع بحل ما تضايق بى يا واسع الفضل والبر
فأنت القريب المستجيب لمن دعا غنى كريم دائم العفو واليسر

بحمد الله تعالى قد تم طبع كتاب « فتوح الغيب » تأليف سيدى عبد القادر الجيلانى ، مصححا بمعرفة لجنة التصحيح بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر:
١٤ صفر ١٣٩٣ هـ ، ١٩ مارس ١٩٧٣ م

ملاحظ المطبعة
رجب أحمد علام

مدير الشركة
محمد محمود الحلبى

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع

الصفحة | الموضوع

الصفحة الموضوع

الصفحة الموضوع

الصفحة الموضوع

الصفحة	الموضوع